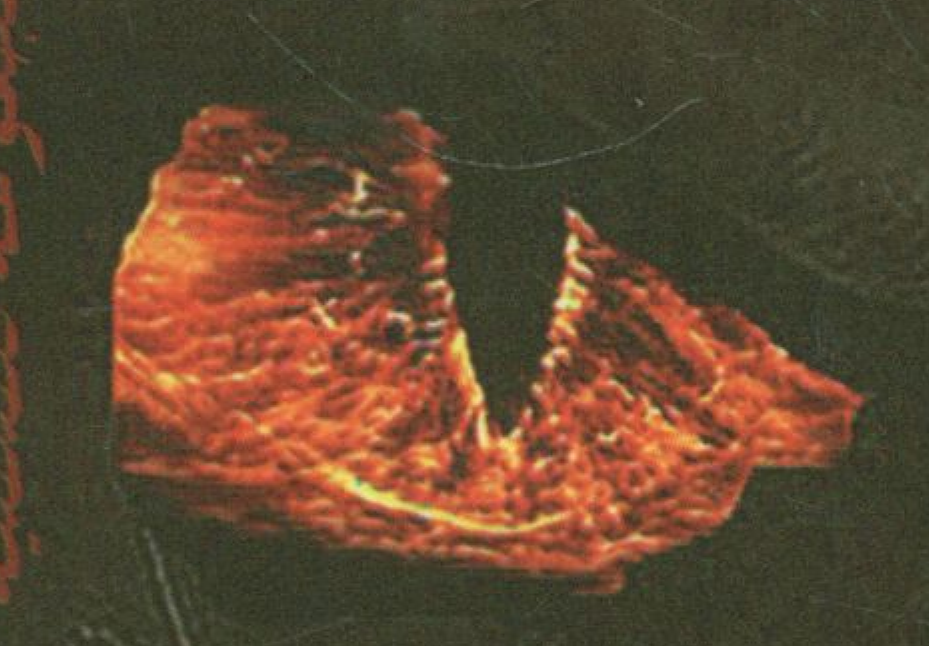
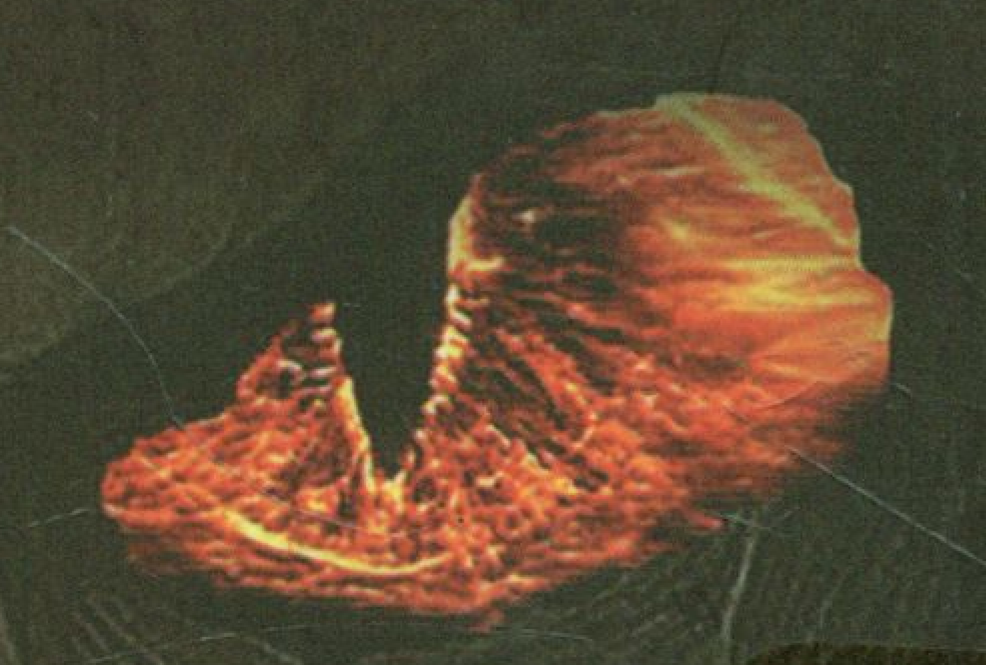


ليلة الوداع الأخيرة

مجموعة قصصية





أميمة عزالدين

ليلة الوداع الأخيرة

اميمة عز الدين

الكتاب : ليلة الوداع الأخيرة (مجموعة قصصية)

المؤلف : أميمة عز الدين

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٠

رقم الإيداع : ٢٠١٠/١٨٧٦

الترقيم الدولي : I.S.B N: 978 - 977 - 6284 - 68 - 5

الناشر

شمس للنشر والتوزيع

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى المقطم القاهرة

ت فاكس: ٠٠٢)٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤) - ٠٠٢)٠١٨٨٨٩٠٠٦٥)

www shams-group.net

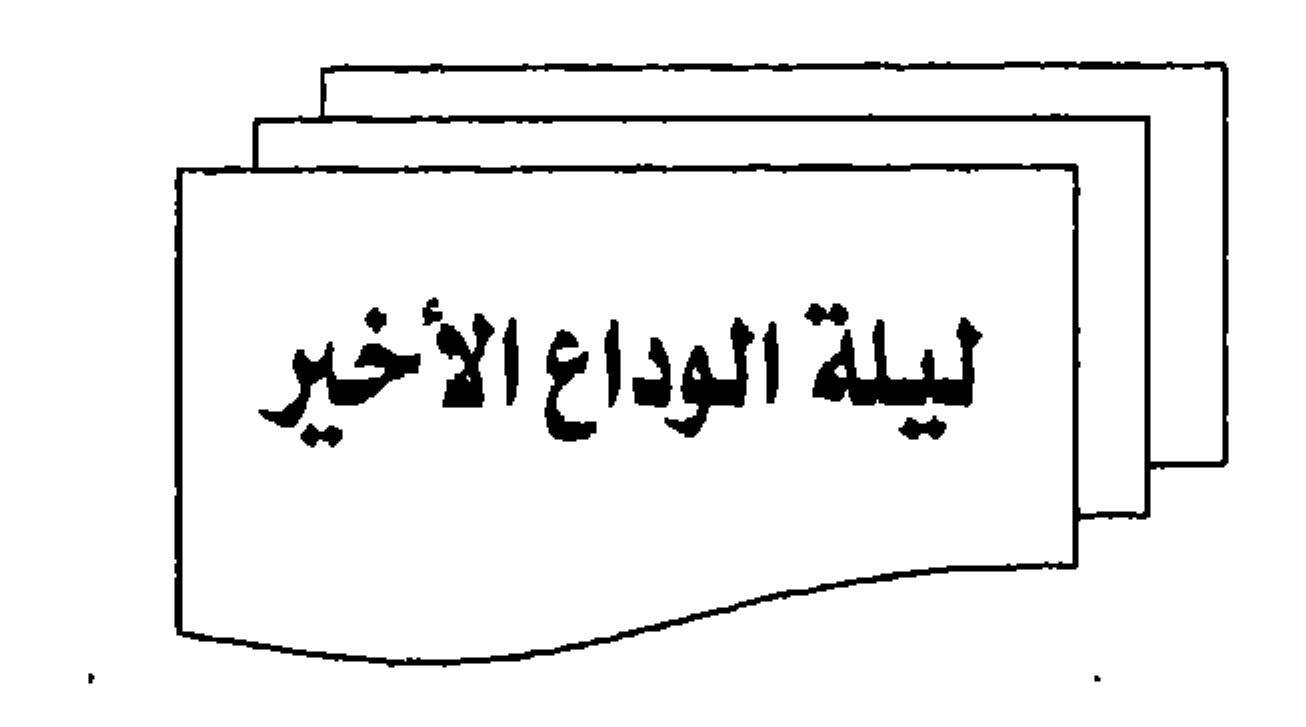
تصميم الغلاف: محمود ناجيه

مجموعة قصصية

ليلة الوداع الأخير

اميمة عز الدين





ما زلتُ أذكر تلك الليلة التي اغتالتها شواهد مدينتي العجفاء، فستاني الأبيض القديم المصفر يغبش ويناوش ليلي الأسود ويمنيني بليلة عرس إغريقية؛ حتمًا لن أراها معه أبدًا.

كان شيئًا رهيبًا أن ألتقي به مرة أخرى، بعد أن اتفقنا على الفراق. في اللحظات الأخيرة للوداع بكى، ولم أستطع البكاء مثله، ما زلت أذكر تلك الليلة، أجل، لم تستطع مرافئ الدهشة والاغتراب ومرارة اليتم والركض لأعلى بعيدًا عن تلصص الموتورين وهمس الطيبين! أن تنسيني ليلتي هذه.

القلق والتوتر سمات حياتي؛ لا أستطيع أن أنجو بعيدًا عنهما، فلقد تغلغل القلق دقائق تفاصيل حياتي بعد أن خمشت قلبي الأحزان، وطاردتني الأحلام السريالية، وصرت كمن يلهو بطوق النجاة وهو يغرق.. يغرق دون أن يدرك.

قابلني بشموخ وكبرياء مصطنع وأنا أبحث عن عمل: أطوف المدينة كلها بحثًا عن عمل، أي عمل يسد رمقي ولا يجعلني أبيع جسدي على ناصية الطرقات. السفر خارج مدينتي كان هاجسي وكنت أرى أن الرحيل دون رؤيته سعادة غير مكتملة، لكنها في الوقت ذاته حزن غير ناقص.

تصاعدت أسئلة الاتهام بيننا في تلك الليلة.. أخذني بين ذراعيه وأجلسني على أحد المقاعد الرخامية بالحديقة العامة ونظر إلى يدي اليمنى، أومأ في صمت وأخرج زهرة بيضاء أودعها يدي اليمنى، وسار بضع خطوات وقفل راجعًا، ثم جلس في هدوء ورزينة.

- الآن يمكنك الرحيل.

لم أشأ أن أباغته بدموعي وظللت صامتة أرنو لزهرته البيضاء التي فتتها بين أصابعي، وإلى حذائه...

- المناخ اليوم ليس ملائمًا لفعل أي شيء.

- كفانا إلى هذا الحد.

ما زلت أرنو إليه وقد استدار ورمق فتاة ترتدي إيشاربا أسود اللون مع فستان قصير تحت الركبة قليلاً.. أمعن فيها، وابتسمت له الفتاة على استحياء.

- آه يا ليلى من تلك الفتاة!!

- أية فتاة؟!

- تلك التي مرقت كالبرق بجوارنا، كانت تتناول الغذاء في نفس المطعم، كانت تأكل بيد وبالأخرى تخفي الطعام بين طيات ملابسها.. كانت مثيرة وتلقائية، رمقتني بنظرات غامضة ترجوني عدم الإفصاح.

- معقول؟! لابد أنها جوعى، أو ربما تجلب هذا الطعام لأهلها الفقراء.

- ربما.. هذا لا يعنيني البتة، الذي شدني إليها هو مسحة الجمال والبراءة التي توارت خلفهما، وتسرق الطعام كأنها قطة مستوحشة تمثل الوداعة في إتقان شديد.

كانت الحديقة متلألئة بأضواء خافتة بنفسجية، عندما تحط على وجهه يتلاشى الشعور بالذنب تجاهه، كان يمتقع لونه فجأة ويهمهم، سألته ما به، لم يجب، ثم أردف بعد صمت طويل:

- إنها إحدى النوبات التي تفاجئني في الأماكن الخافتة الضوء.

كانت أسنانه البيضاء تنهش كل جميلة تسير بحذائه، فلقد كان المر لا يسع إلا لاثنين أو ثلاثة بالكاد. كانت زهور البانسيه والقرنفل والياسمين

تملأ الحديقة العامة التي تطل على كافتيريا ومطعم سياحي كبير. كانت الوجبة فيه تكلفني راتب الشهر كله.

سألني باستخفاف عن سبب وجودي في هذه المدينة بالذات فقلت:

– جئت لأبحث عن عمل، أي عمل والسلام.

– تبحثين عن عمل! أين أهلك؟

– لا أعرف.

– أأنتِ يتيمة يا ليلى؟

كنتُ أعرفه منذ سنة تقريبًا، ولم نكن نلتقي إلا قليلا، لا يحب أن يسألني عن شيء، فقط كلاً منا يفضي إلى الأخر بوجيعته، حتى إنه حكى لي يومًا عن الزار الذي تقيمه أمه يوم الخميس ليلة الجمعة. كان يرتجف وهو يذكر أن المرأة شديدة السواد ذبحت ديكه الأحمر كما تنثر أوراق الورد في زهو

وخيلاء، أما أمه فكانت تـأتي بحركـات غريبـة مـا يجعلها تنام فاقدة الوعي طيلة الليل، وأن أبيه كـان يخـرج لاعنًـا اليـوم الـذي تـزوج فيـه تلـك المـرأة المسحورة.

عندما سألته عن "يوم الزار" ضحك:

- ما زالت أمي تفعله.

رأيت علامات الرجفة تزحف ببطء إلى يديه وعينيه كأن النوم يرتقها على مهل، حتى إن قسمات وجهه تغيرت وتبدلت قليلا، ثم هز رأسه هزات ثم صرخ:

- لا أريد أن تحدثيني عن هذه الأشياء اللعينة، إنها لا تطاق.

- آسفة!

- لا تعتذري.. فقط أريد أن أقـول لـك أن أمـي هـذه سيدة مسحورة.. حلمت ليلة أنها تغسلني بدم فتـاة وتلفني بثوبها كي تنقذ حياتي المطمورة بـين ثنايـا خبلها وجناياتها الساكنة شرايين جسدها الضامر.

كنا قد اتفقنا على الفراق، وعندما حانت ساعة الفراق جذبني من يدي ببطء يريد شيئًا، وقال في تخابث:

– الليلة.. سأجعلها ليلة وداعنا العظيم.

فنهرته؛ ضحك ساخرا وأشار أن أسير حذاءه.

سرنا في الممر الطويل للحديقة، كانت خالية إلا من سوانا.. الجو أكثر من رائع، واختمرت لديه فكرة ذهابي لبيته، قال:

– لا أستطيع الفراق بعد الآن.. أدركت الآن سر اللعبة فلأستريح من عناء الفراق وأخذك معي للأبد.

أثناء سيرنا كان يمتقع لونه فجأة ويهمهم.. سألته ما به فأومأ:

– إنها إحدى النوبات التي تباغتني في الأماكن خافتة الضوء، هيا بنا نخرج من هنا وإلا فقدت وعيي.

– هل ما زالت أمك تأتي الزار؟

– أجل.. وأريدك اليوم أن تشاهديها هي وجوقتها الملتفة حولها.

– لا أريد أن أرى شيئًا.. أريد الرحيل عن هذه المدينة، فلم أستطع العثور فيها على عمل.

– لن ترحلي إلا معي.

كان البيت أشبه بالقصر المهجور.. ساقني إلى مدخل ضيق تقبع عند طرفه أشجار عتيقة ذات أجمة كثيفة عند البوابة الرئيسية للقصر، ما زلت أسير في طريقه المتعرج، حتى وصلنا إلى باب صغير يفضي إلى صالة فسيحة تغمرها الأضواء الحمراء وبعض النساء اللواتي يرتدين جلابيب ممزقة وحلي نحاسية وأقراط طويلة تتدلى لصدورهن وشعرهن منكوش، في الوسط تقبع امرأة جاوزت الستين تقريبًا، تندب وتلطم، خديها وتدور في الوسط بينهن كالمجنونة.

أشار إلي وقد بلع ريقه بصعوبة:

- هذه أمي، كما ترين مسحورة، إنها لن تستريح حتى تريق دم فتاة، وتزينني به.

- إنها جريمة.

- لكنها مسحورة يا ليلى.

وجدته يمسك بذراعي بقوة ويدفعني للدخول إلى الصالة وينظر إلي بشراسة..

تلفت لأجده شخصًا آخر غير ذلك الشخص الذي قابلته منذ عام.. لقد تحول إلى ذئب عينيه حمراواتين يضطرب ويموج ويتأثأ كثيرًا.

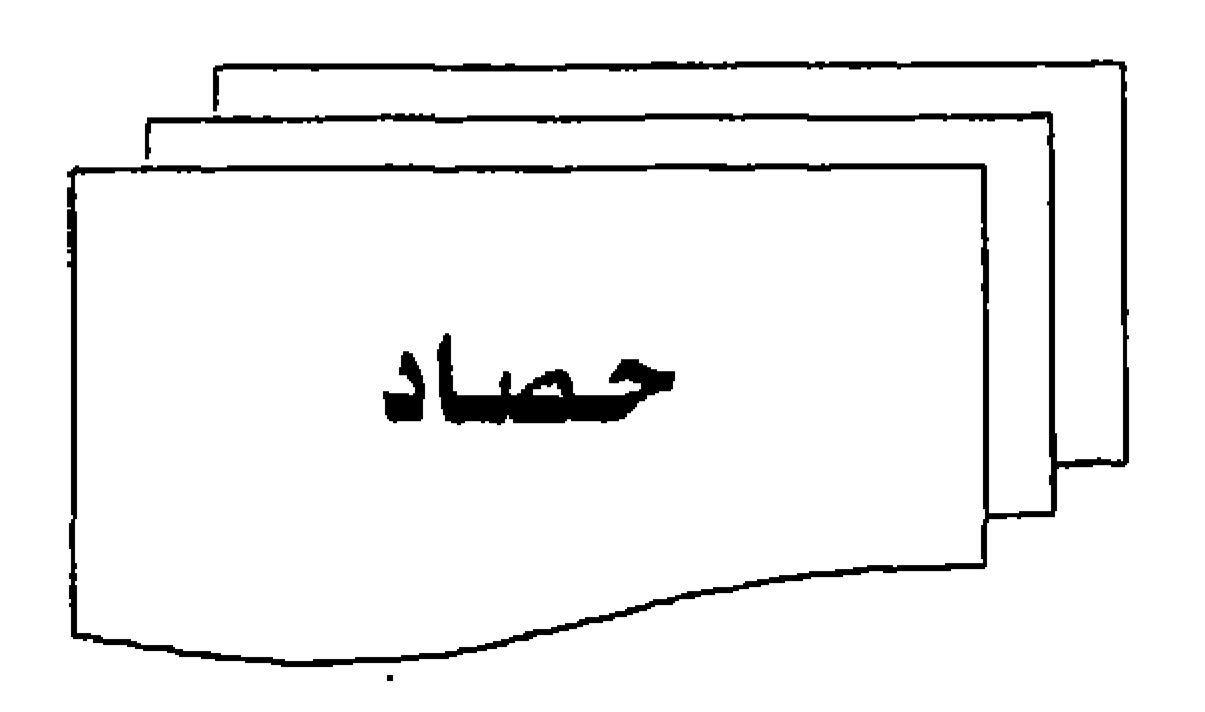
- الليلة هي..

هم بقذفي إلى معتركهن.. تملصت بلطف:

- يجب الرحيل الآن.. دعني من فضلك..

وجدت أشباح النسوة تتداعى على الحوائط والعوارض الخشبية المحاطة بالثريات المدلاة بعناية من السقف.. تقترب مني. أمسك بكتفي وقبض على

شعر رأسي.. هم بدفعي إلى الأشباح التي تدنو شيئا فشيئا.. صرخت وظللت أصرخ، إلا أنه لوى ذراعي وراء ظهري وهوى بيده الأخرى على فمي ودفعني إليهن، بتحد جرؤت على عضه بشدة حتى صرخ، وهربت منه، وظللت أجري طويلاً دون أن أدري أن هناك دمًا ينزف من رقبتي، وبقايا لحم مغروس بأسناني، وصدى عواء يرن في أذني.



سرت رعدة في أوصالي، ما عدت أستطيع التلفت حولي، أشعر بوجوده وعيناه تراقبني.. الكل يعلم أنه كائن في مكان ما، يرسل جواسيسه وينثرهم حولي، لكنني لا أستطيع الإمساك بهم.

عندما قابلته في مطلع العام الجديد.. فقدته في منتصف الليل لنفس الليلة، كان ينتشي بالفراق، ويستعذب الألم والحرمان، ويراه إلهامًا طازجًا مجانيًا لقصائده المبتورة.. ولأنه لا يرى في النساء سوى أمه، فلقد أراد مكافأتي وأشار أن نزور قبرها.

قال: إنها المرأة الوحيدة التي أحبتني أكثـر مـن أي شيء.. فهل تستطيعين أن تكوني مثلـها؟.. لا مـانع لدي أبدًا أن ألعب دور الطفل المدلل، على أن تكـوني الأم المثالية.

كان لابد من الصمت وهو يسـند لـي دور البطولـة في حياته العابثة، لقد أصبح كل شيء في مكنون الغيب، لا أحد يمكنه الاقتراب من منطقة أمنياته، حتـى لا تطوله شهب غضبه.

مفردات حياته أودعها جوار أمـه بـين ثنايـا القـبر الضيق. لا أتذكر كم من الوقت مـرّ قبـل أن يسـتعيد ذكرياته معها: لا أحد يقترب من قبرها إلا وينحني وينحني، أشارت إليه أن يخـرج مـن شـرنقة المـوت ويتنفس الحياة إلى أن تحين ساعته.. اتهمني بالغباء وأنني امرأة.. هالني صوت سيدة وسط المقـابر تبكـي وليدها الصغير، تتشبث برخام القـبر وكأنــه جسـد

وليدها، تتمتم بالصبر والحمد وآيات الذكر الحكيم، قلت وقد تواريت بين الخفوت والتهدج:

- ما زالت الشجرة الهرمة راسخة، والغصن الغض قد سقط.

تجمدت ملامحه بغتة وقال بلهجة متبرمة:

- ليس من العدل أن نجتث الشجرة عندما تهرم.

في صبيحة اليوم التالي لم يودعني بقبلته المعتادة.. أشار إلي أن ارتدي ثوبًا قرمزيًا بدون وسط، وأن أخلع ملابس الحداد، كانت همساته تصدر بين الغضب والتأنيب عندما أفزعه فستاني الأحمر الجديد، ردد.. دائمًا تنسين وجودي في الصباح.

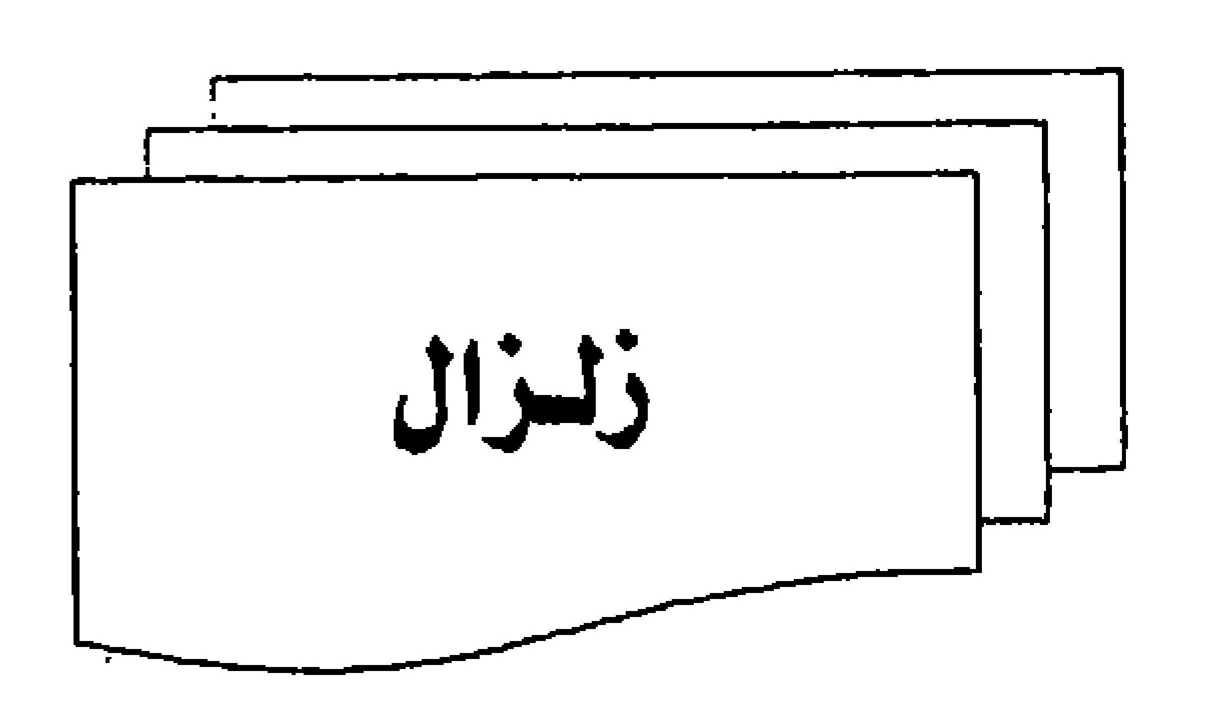
لملم حاجياته وأوراقه وصورة أمه ذات الإطار الأسود وتركني بدون رسالة.

أعقاب سجائره الرخيصة تناثرت على الأرض في زهو دون ترتيب، ما زالت الغرفة دافئة بعطر

أنفاسه، ملاءته نظيفة كأنه لم ينم الليل. التقطت عيناي ورقة مهملة ظننتها إحدى قصائده، حروفها كانت متناثرة، استجمعتها بصعوبة:

- ورقتك ستصلك بعد غد.

بعد غد سوف تحل ما يسمونه الذكرى السنوية لوفاة المرأة الوحيدة التي أحبته أكثر من أي شيء.



في لحظات كانت كاف التكوين تزحف ببطء إلى النون. تزحف تزحف فوق صدري، كن/ لا تكن.. وحده تعالى عن كل نقص بأمره يحدث كل شيء.

في لحيظات رأيتهم يتعثرون فوقي.. أصابعي الصغيرة تحت أقدامهم، حتى تناثرت بهرولة أحذيتهم السوداء الثقيلة.. الدنيا الآن لم يعد لها لون! أصبحت الطاقات الصغيرة شرارات تنطلق من عيني.. رأسي.. جسدي قطعوه وهم يتخبطون، ارتجت الأشياء وتبدلت مسمياتها، وصارت تتنازع روحي، وأتلفت ذاكرتي الاحتفاظ بالأسماء..

وكان لابد من النداء على أمي حتى أشم رائحة ثيابها وأتعرف عليها، وتتعرف علي وأنا كتلة لحم ممزقة زرقاء منتفخة أوردتي بح دمها وفار لأعلى كالتنور.. حقيبتي بجواري من الجلد الرخيص.. اشترتها أمي بجنيهات قليلة جمعتها من أركان الدولاب القديم القميء.

أبي يسعل دائمًا، ولا يكف عن تعاطي "النارجيلة" بوسط الغرفة التي ننام ونأكل فيها، دخانها ضباب أزرق يغبر سماء الغرفة وأنا ألوذ بصدر أمي أحشر نفسي في ملابسها وأبكي عند سماع حشرجات أبي المتقطعة الصاخبة.. تهدهدني وتمسد شعري القصير وتدعو أن أكبر سريعًا حتى يأتي رجل ما من مكان ما ومن زمن أخر يتحمل أعباء حياتي عنهم.

كان لابد أن أفيق بعد أن شعرت بأركان الغرفة تهتز من حولي.. مدرس الفصل كان أول الفارين.. غشينا

الـدخان في البدايـة، اسـتدار بـدفاتره وولى بعيـدًا، وبقينـا وحـدنا، وقـد اختلطنـا بالمقاعـد الخشـبية المتشققة، الكل يتصـارع للوصـول إلى البـاب، السـدة تعالت وتطاولت، وبكيتُ وقلت:

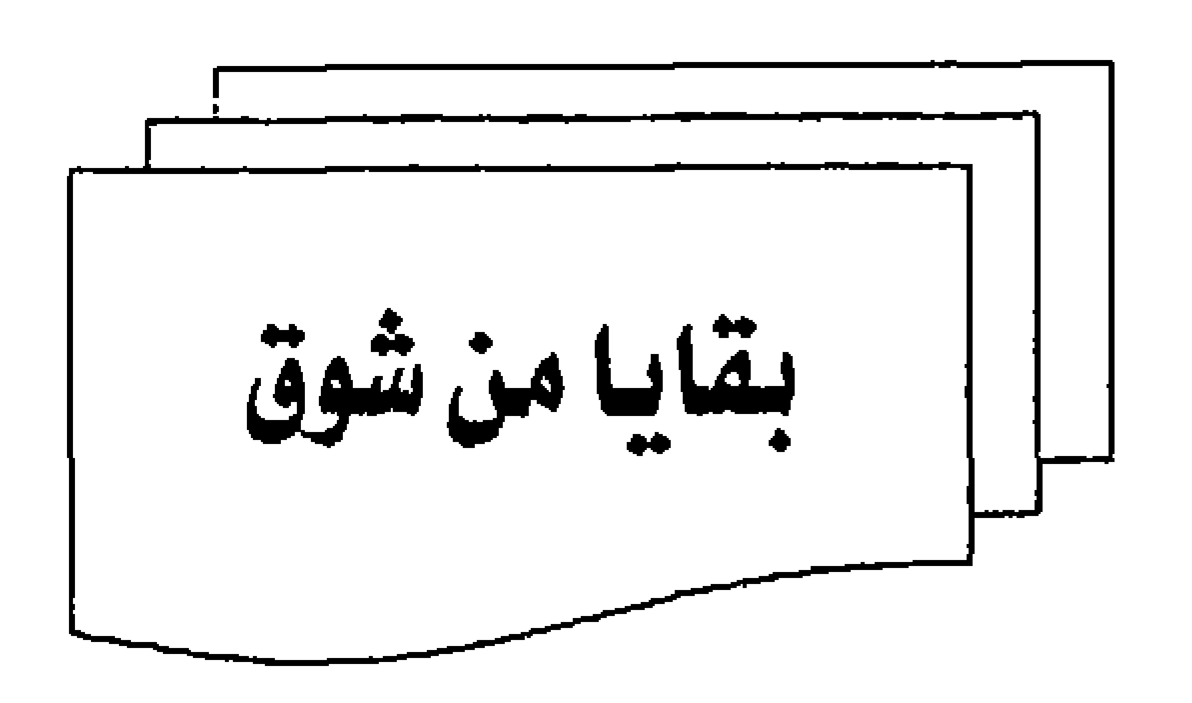
- يا رب..

قالت أمي:

- فقدت قطعة لحمي الوحيدة.

انخرطت كعادتها في بكـاء صامت، ولم ينـبس أبـي بكلمة واحدة...

هكذا رأيته في لحظة واحدة قبل أن تغيم الدنيا.



خيط رفيع شفاف يظهر من بين مسارب المدينة، يلتف ببقايا شوق حول هياكلها الخرسانية الصماء، يمتد ليشغل ذلك الحيز غير المرئي بينهما، حروف الاسم تتبعثر بينهما رويدًا، في عينيهما بقايا من شوق يتهادى في لحظييهما.

صمتٌ يتسلل من القلبين.. يتشابك وتتعقد خيوطه.. كتابها مفتوح في مكان ما، كأنه مقعد في قطار مسافر بين حقول الريحان واللافندر، يتعذب بين المسافات والطقوس الليلية المعتادة.

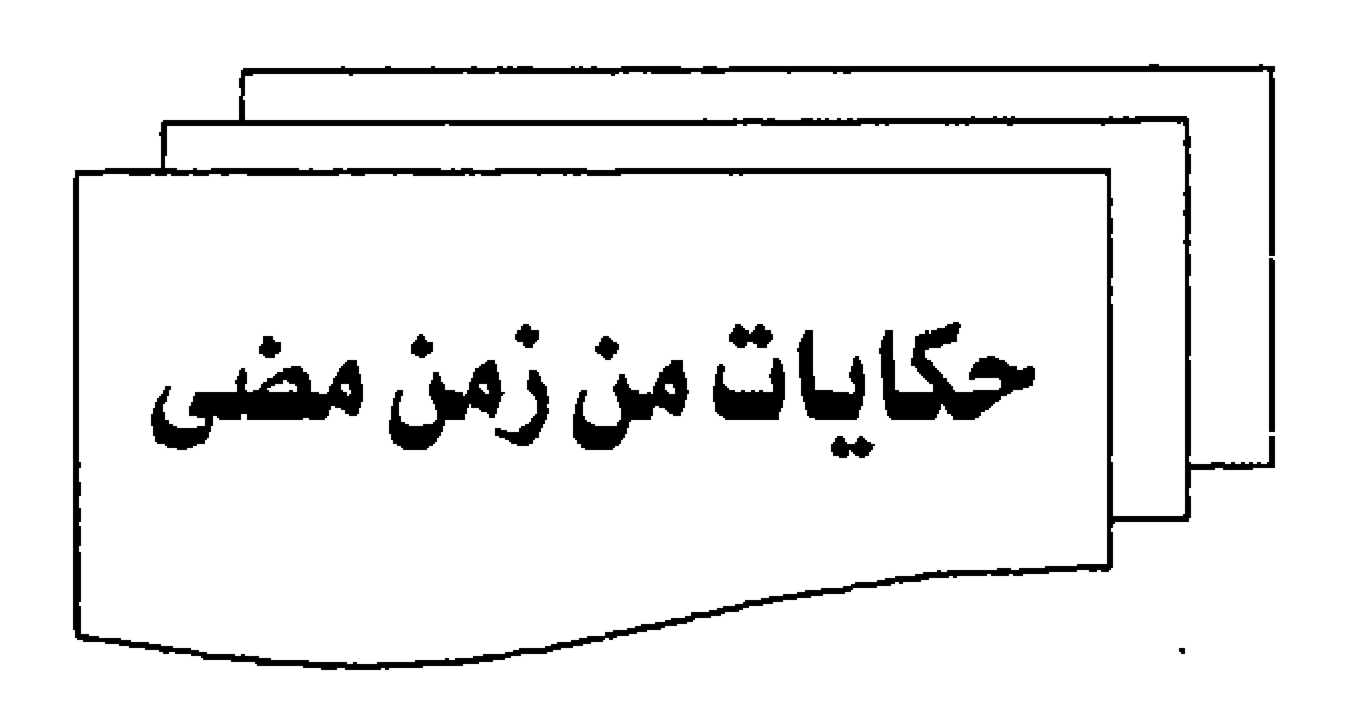
يومئ لها..

إنه حتى لا يعرفها كأن قطارهما واحد، يظهر طفل عابث يجري في تلك المسافة الضيقة المحصورة بين المقعدين يطالع جريدة يومية.. تحس سعادة نادرة حينما تداعب الطفل، بينما يتطلع بنظرات متلصصة إلى يديها من وراء الجريدة التي يطويها، ويتشاغل بالتطلع في زجاج النافذة.

أصابعها ترتعش وهي تمسك بالكتاب والقلم الرصاص.. ألوان شفقية تزهو بالأفق الليلي الغامض.. علبة سجائر يستخرجها، يرمقها بنظرة أخيرة.. يتصاعد الدخان.

ينحني لها ليفتح باب الخروج، بينما هي توليه ظهرها، والطفل يتعلق بالنافذة يطوح لها قبلات نشوى بريئة مرددًا:

- إلى اللقاء.



▪ الضنى لا يتجزأ

انتظر عودة أنور وزوجته وولده، لقد خشيت عليه من أنفسنا، فعندما يتشاجر الصغار فلهم كل العذر، لكن أن يبصق الكبار على بعضهم البعض وينقضوا ما عاهدوا الله عليه واتفقوا عليه، فهذا من منغصات الحياة المؤلمة، فعندما تنوح الحمائم على أغصان الفجر الذابلة في الخريف يبكي قلبي سعادته المفقودة، فليس هناك شيء اسمه الأمل المطلق، فهذه حالة نسبية يتعرض لها كياني الذي أفقدته عقولنا ذات الرعونة الفاضحة.

كان صوت حسام حزينًا وهو يحادث أنور:

- أبي.. لقد فقدت كل شيء، هيا بنا نعود لاسترداد لعبي ودبي الصغير.

ينكس أنور رأسه حتى كادت أن تتدلى على رأسه:

- عماه.. إن حسام يلح في العودة للجحيم، إنه لا يدرك حقيقة؛ الموقف العصيب الذي يمر بنا جميعًا.

لم أجد ما أقوله، وأثرت الصمت الذي ابتلعني وأنا في السجن، أفعمتنا رائحة الشواء الذي تعده زوجة حسام، وأسرع الصغير في التهام قطع اللحم القطعة تلو القطعة ونحن نرقبه بعطف وحنان.

صوت المذياع يزعق فينا، ننصت إليه في توجس وريبة وتحفز للأحداث.

الغريب أن حسام هذا الطفل الصغير تقدمنا فجاءنا صوته محتجًا وهو يصر على أسنانه البيضاء:

- لماذا لا نحاربهم؟.. يريدون ذبح دبي الصغير!

غض أنور الطرف، وذهبت زوجته في النظر العميق للأرض، وهتفتُ من أعماقي أن تثبت الأرض ولا تتزلزل من تحتنا، وصرخت دون أن أقصد:

- لا يجوز هذا، نحن عرب كيف يأكل الجسد نفسه؟

لم يفهم حسام شيئًا، لكنه تشبث بقدمي المتعبتين الهرمتين يحاول تثبيت عينيه السوداويين بعيني الكليلتين، وقال في حماسة:

- جدي، هيا بنا نحاربهم أنا وأنت، لقد طردونا في منتصف الليل.

على الجهة الأخرى من الذاكرة أرى بوضوح لسان زوجتي يتدلى شامتًا وساخرًا بكل مبادئي العتيقة، دائمًا ما يصلني صوتها من بعيد.. أتلفت لاقتص منه مرة أخرى، لكنه ينفلت بنبرات أرعشتها الهزيمة، ويسكن وتخمد جذوته المستعرة بدماغي؛ حتى راوغتني وبانت مرة أخرى بهيئتها الفاضحة

بملابس النوم الملطخة بالدم القاني ترتاد خيالي في ريبة دون استئذان.. تعلن في وقاحة:

- كلكم كذابون.. قتلتني لسبب تافه، بينما أنتم تُقتلون على شبر من الأرض.

أردد:

- لم تعودي حبيبتي.

يدير أنور المذياع بقلق شديد ظهر جليًا في قسمات وجهه المكفهر الذي تغضن مبكرًا؛ غيظًا وكمدًا.

(.. وإننا لا نريدها حربًا عالمية ثالثة، يجب على المغتصب أن يستسلم ويرد الحق لأصحابه، لسنا في حاجة إلى هيروشيما عربية).

أرنو للقبة الحمراء بعد أن تربعت الشمس السماء وأتخيل مزقًا من الأوراق المهترئة تحتوي على قرارات وفرمانات وتوصيات عربية من زمن الخديوي إسماعيل؛ تحط على رأسي الثقيل..

كانت القبة تزداد اصفرارًا واتساعًا، حتى أن حسام قفز بجواري فجأةً، وسألني على استحياء:

- هل هذا بيتك؟

لقد روعني سؤاله.. فلست في حاجة لمن يوقظني من ذكرياتي.. ففي هذا البيت التقيت جدته وداعبتها بقصائد خجلي حتى الثمالة، لكنها تملصت ومرقت كالسهم لتستقر عند عتبة دار أخي الصغير، تعلن وتقر بأن للحب سلطانًا أقوى من فتوة الشهوة.. كانت أشياؤها تذهب معها أينما ذهبت، ولم تكن القفازات السوداء المثقبة إلا ترفعًا عن ملامسة أمثالي.. ومع هذا فلقد آلمتني بهجري ونبذي وتركي وحيدًا لأقع في براثن تلك المرأة التي ترتاد خيالي ذات اللسان المتدلي.

ضجت غرفة حسام بالعويل والصراخ، فذهبت أمه تهدهده وتوسده صدرها، لكنه اندفع نحوي بجنون

وانداحت دموعه رقراقة بلورية على خديه.. ربتُ عليه حتى استكان على ركبتي قائلاً:

- لا أريد العودة هناك، لقد قتلوا عبد الرحمن صديقي أمامي.. لا أريد أن أموت ولا أريد دبي الصغير ولا خرزتي الصفراء.

عندما نفذت نقود أنور، استعان بمجوهرات زوجته التي خبأتها ودستها بين ملابسها عند رحيلهم الاضطراري، وطلب إليّ أن نؤجر غرفة من غرف البيت الكبير، لم يمهلني أن أمنحه موافقتي، فلقد أحضر الساكن الجديد، وبنى جدارًا عازلاً بيننا. وأصدر أوامر عسكرية.. لا تدليل ولا صراخ، فهناك قاطن جديد بيننا.. وفرض حظر التجوال.

لوى حسام وجهه وجلس القرفصاء طيلة النهار واعترض على تناول الطعام، فلقد كانت هذه الحجرة حجرته وبها شرفة واسعة سكنًا لطيوره الصغيرة

الملونة تحوطها نباتات الظل التي يعشقها، والتي ما انفك أنور أن ألقى بها إلى شحاتة الزبال. وعلل ذلك أن زمن التدليل قد ولى وعلينا جميعًا احترام قوانين الواقع.. وقال:

– علينا أن نكون واقعيين ونعتمد على أنفسنا حتى تنقضي تلك الأزمة بدلاً من أن تقضي علينا.. أتدركون ما أعنيه؟

حرم حسام من الحلوى اليومية التي كان يبتاعها وظل ينتظر عودة أمه من العمل الجديد حتى تعد له بعض الطعام الرخيص.

■ حتى أنت يا بروتس

أشياء كثيرة فاجأتني بها يا بروتس، خيانتك أشد فتكًا من سم الخنجر الذي طعنتني به، آه يا عزيزي قتلتني لأجل مجد روما/ هوى امرأة، لأجل حفنة شراذم جمعتهم من أزقة روما ليمتثلوا أحكامًا علينا.. بروتس: لقد غمطتني حقي مثلهم! لقد انتظرت معروفك، فأعرتني خنجرك في ظهري.

يقفل صديقي راجعًا لبيته تاركًا إياي في حيرة شديدة.. مم؟ لا أدري؟ فلقد ناورتني الشكوك بامرأتي الفاضلة.. كان يكره أن أصطحبه لمسرحية بروتس على المسرح الكبير بالأوبرا، ورآها مسرحية هزلية وعبثية، أما أنا فكنت أراه بروتس وعلى شمالي تقبع امرأتي. كان بروتس يزورني كثيرًا في أحلامي ويهينني كأنني قيصر روما، لم نكن صديقين فحسب بل شريكين في تجارة رابحة استغرقتنا

ردحًا من الزمن، وكان كلما ازداد ثراءً؛ ازداد عنجهية وجفاء وكان يتحسر على حياته الخالية من الحب والنساء.. يقول هذا وعيناه على امرأتي.

رغم قيظ أغسطس إلا أن أنابيب المجاري التالفة تفعل بأحذيتنا أكثر مما يفعله الشتاء.. ها هي قدمي تنغرس في دائرة الماء الآسن الممتزج بقاذورات ذلك الحي، كخفي جمل ثقيلين تشي برائحة تزكم الأنوف، عندما أدرت المفتاح في ثقب الباب أتاني صوتها ناعمًا كالفحيح:

– يجب أن ترحل الآن.

– ما أروعك الليلة.

– ربما يأتي في أي وقت.

– لا تقلقي لن يأتي قبل أن يراجع ميزانية الشركة، إنه غارق في الملفات والحسابات.

... مازال بروتس يطاردني حتى في فراشي، لم أدر إلا والدم سيال على الفراش، وقميصها الأحمر ملطخ

بالدم القاني، وهو يتشبث بملاءات السرير.
جاء البوليس نشيطًا كعادته، وكبلني بالأغلال، وحاولت أن أجعلهم يفهمون أن صديقي بروتس هو الذي فعل ذلك، وليس أنا على الإطلاق.

سنوات طويلة أتشبث بالحياة بين جنبات السجن، حبيبتي تزوجت أخي، وأنجبا أنور الذي وجدت فيه صورتها وصفائها، عندما شب عن الطوق هالتني نحافته المفرطة وقد استطال وجهه واحدودب ظهره على غير العادة، ورأيت في عينيه انكسارًا، لكنه كان لا يبكي مثلي، لا تلين له لائنة ولا تؤثر فيه ركام الأحزان التي ينوء بحملها وحده.
حمل نعش أبيه معي وسار به إلى القبر دون أن ألمح دمعة في عينيه، كان يهيل التراب ويتلو القرآن حتى فاضت عينيه بالدموع حتى انتحب؛ توارى خلف صواني القهوة السوداء التي أصر أن يقدمها بنفسه في المضيفة بينما صوت القارئ لكتاب الله يتسلل لأذاننا

وأجسادنا، فتخشع أبصارنا وننكس الرؤوس في استسلام لقضاء الله وقدره.

كان أبونا يجلس بجوار القارئ الذي اعتمر عمامة بيضاء وشد حول عباءته حزامًا حريريًا أحمر اللون، كان أبي هو الآخر ينتحب بشجن عظيم، يبكي كثيرًا حتى أخضلت لحيته البيضاء الكثة، ولم تكن حركة نواجذه بأحسن حالاً من وجهه المجعد.. تأوه كثيرًا حتى افتضحه طاقم أسنانه النضيد، وتقعر خديه وذبول رجولته، فكانت عيناه الغائرتان لا تستقران إلا على يديه المعروقتين تنكتان الأرض بعصاه السوداء ذات الرأس الذهبية. قال أبي على الملأ:

- لا أريد ماله، ماذا أفعل بماله دونه؟

الآن بعد مرور كل تلك السنوات يتذكر أبي واجباته الأبوية، ما زال ألم الفقد يعتصر قلبه العليل، أشياؤه الصغيرة يلملمها ويضعها على رف النسيان.

■ الوجه الآخر

خمسة عشر عامًا ولت دون أن أدري وطأتها بين جدران السجن الكالحة.. ينز رطوبة تمكنت من عظامي حتى النخاع لو لم تكن الأغطية بحال جيدة.. فهم على أي حال يحتقرون أمثالي، لكن رغم هذا ألمح حسرةً وألمًا تجوبان عيني الشاويش "مرزوق" حينما تتلاقى أعيننا دون قصد عندما أقوم بتنظيف دورات المياه بالسجن، إنه الوحيد الذي يعتقد أنني لا استحق هذا.. وما فعلته بامرأتي كان لابد من إتيانه لأنني رجل موغل في الرجولة.

ذات مرة حمل لي بشرى زيارة تتحقق بعد أيام، وأنه سعيد لوجود أحد يسأل عني، وأنني لست غصنًا كالحًا أمردًا.. كان ابن أخي أنور الوحيد من عائلتي الذي يمدني بخطاباته وكروته التذكارية التقليدية، إنه لا ينسى أنني عمه الوحيد. لقد اشتقت إليه وإلى ولده الذي لم أره طيلة حياتي.. هل

تـراه يـأتي لزيـارتي ويقطـع إجازتـه في ذلـك البلـد العربي لأجلي؟!

– ابن أخيك رجل أصيل.

– أجل يا شاويش مرزوق.. إنـه مثلك تمامًا يشعر بي ويجدني غير جدير بتلك الزنزانة الرطبة الخربة.

– لا عليك كلـها شهور وتخرج للنور.

يصور لي خيالي العثور على امرأة أخرى خائنة كي أقتلها حتى أقضي نحبي بين جدران السجن تحت سمع وبصر الشاويش مرزوق الطيب الذي يطـل علـيّ بين الحين والآخر ببطنـه المكتنـز وقامتـه القصـيرة ورأسه التي تكاد تلامس كتفيه وشاربه الكث الـذي انداح فيه المشيب هو وسوالفه.

عندما خرجت من السجن لم أصـدق.. فركـت عـيني بعنف.. لقد استراح عقلي الآن بعد أن أحرقت كتاب الأمير لذلك الوغد ميكيافيللي، إنه يدغـدغ كـرامتي وتتقزم معه مبادئي وفلسفتي المزعومة.

- رفقًا بالقوارير.

كانت أمي تقول هذا وتردده على مسامع أبي، حينما ينشب الخلاف ويستعر في باحة الدار الفسيحة عندما كنت صغيرًا ألهو كثيرا حتى تكل قدماي فأهرول لاهثًا مسرورًا لصدر أمي الرحيب، تستقبلني بالقبلات وتمسد بيديها الحانيتين شعر رأسي الأكرت وتوسدني حجرها الدافئ تبتهل إلى الله بولد آخر.

- لما الواحد بيقع وينكسر يقول أخ.

إنها لا تفهم أنني لا أريد ذلك الأخ، فيكفيني قبلاتها وتأوهاتها وأمنياتها لأجلي أنا فقط. عندما يهل أجلس بجوارها محبورًا لا أفارقها وأراقبها بشغف عن كثب أراقب حركة يديها وهي تعد الكعك والبسكويت وتفعل كل شيء بنفسها، وتدور مسعدة الخادمة العطوف حولنا كالنحلة الدءوب

تلبي رغباتنـا إلى أن تكـل قـدماها فـتجلس مطأطئـة الرأس طالبة ولو دقيقة راحة.

- اعتن بأخيك فهو لك وأنت له.

لقـد فعلتهـا أمـي.. اسـتجابت السـماء لابتهـالهـا وأعطتها مولودًا ذكرًا آية في الجمال والملاحـة يشـبه زهرة السوسن الرائعة، وفمه الدقيق يلتقم صدرها.

- سأموت يا ولدي.. اعتن بأخيك فهو لك وأنت له.

تركتنا الصالحة وحيدين، فـالزوج لم يسـتطع صـبرًا فتزوج بعد الأربعين وتركنا عند خالنا في العباسـية حتى يعيد شبابه مع امرأته الجديدة، لم أكـن أدرك أنني أحب أخي الصغير كل هذا الحب، فبرغم بلوغه العشرين إلا أنني أحنو عليه كأم رءوم، عندما أنظـر لصفحة وجهه المشرب بالحمرة.. أخشـى عليـه مـن هوى زائف فهو لم يزل فتى غرير ولم تتغير نظرتي إليه رغم شموخ قامته الباسقة وغروره المخيف...

سألني يومًا وهو صغير:

- ما مصير الإنسان الذي يقذف في الفرن الذي كان بدارنا القديم، هل سينسلخ جلده، ويتقشر كالجمبري المشوي ويتصاعد منه رائحة الشواء؟

- هل سيتألم ويصرخ؟

إنه يخشى أن يلقى نفس المصير.. عندما سمعتنا أمنا جرت نحونا مهرولة واحتضنته وأمطرته بالقبلات الدافئة وشرعت في إعداد البخور والشبة والخرزة الزرقاء، مع تلاوة آيات من الذكر الحكيم، وجلست القرفصاء وجعلت تتمتم وتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وتجفل وتدنو حتى اغرورقت عيناها بالدموع الساخنة وهي تقرأ المعوذتين وتتمتم من عين مسعدة ومن عين حفيظة ومن كل عين خبيثة رأته ولم تصل على النبي، وفي لهجة آمرة قالت أمي:

- فؤاد لا تخرج من الدار.

كانت تخشى عليه من الحسد ومن حقد أولئك النسوة اللاتي لم يرزقن بولد بعد.

■ انتظار وترقب

مازال أنور يهيب بالساكن الجديد أن يلزم حدوده ولا يتعداها وأنه في الإمكان طرده أشد طردة. تجاوز الساكن الجديد مفردات الجيرة وصرخ في وجه أنور:

– ليس من حقك طردي يا هذا! فهذا بيتي!

– كيف تجرؤ على قول هذا؟!

– إنني أريد أن أتزوج وأريد الشقة كلها.

– أنت تحلم.

– سنرى لمن ستكون الغلبة.. سأطردكم وأجعلكم ترحلون كرهًا.

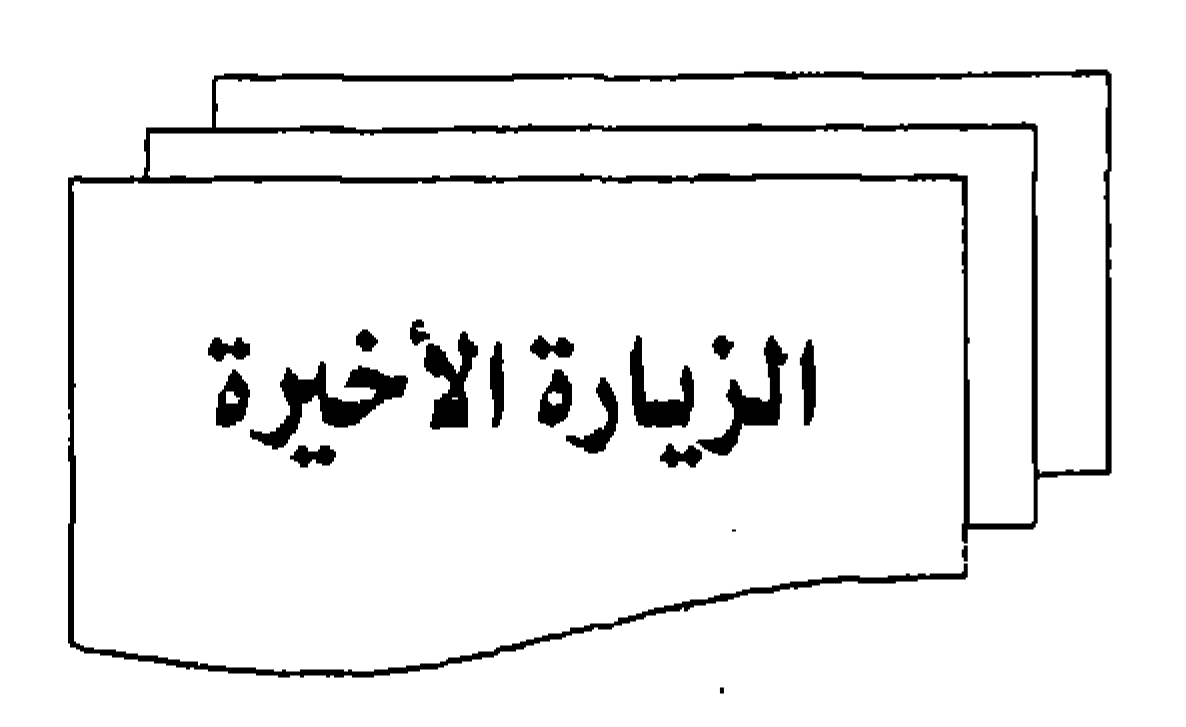
لم يزل أنور في تجهمه وعبوسه، يحرس ما تبقى من الشقة وبيده سكين كبير وبالأخرى هراوة غليظة، بح صوته وقال في تصميم:

– سوف أقتله يا عمي.

– لا تقل هذا، فحتمًا سيولد يوم جديد.

- ....

- أنور.. أدر المذياع لنعرف الأخبار ودعنا ننتظر فلكل شيء نهاية ونحن لا ندري ماذا يخبئ لنا القدر؟! فكلنا في الهم واحد.



المواويل القديمة، العجز، التطوح عند آخر نقطة في السماء الخيالية، الشجن عند ذرف الدموع، تلاقي الأيدي عند الوداع الحميم، محاولة التجريب بإمساك الفرشاة المنداة بزيت الحياة الرائع، نوع من الخرافات الجميلة نتشبث بها بعد التخلي عن ما يسمى بالأحلام.. تتطاير أحاديثنا في الهواء وبين المارة، إنهم ينتظرون أن تفوح رائحة آثامنا الصغيرة حتى يبدأ العويل ويشيروا بأصابعهم نحونا (محاولة جديدة كي يستمتعوا بنبذنا).

قالت:

– لقد أحببت الحياة رغم أنها لم تعطني أي شيء.

في وسط الزحام.. حكت لي عن ليلة العيد.. وجهها الصغير الأسمر بتقاطيعه الدقيقة، وملابسها المحبوكة في غضب، لأنها لم تولد في أسرة موسرة.

قالت في براءة:

- لقد سرقت في ليلة العيد جنيهًا من حقيبة زوجة أبي كي أبتاع كريمًا لتبييض البشرة، وعندما دهنت وجهي به اكتشفوا السرقة.

استطردت في كبرياء مجروح:

- أنا لن أتكلم عن عُقدي أمامك.

تلعثمتْ:

- لم أحضر لعيادتك من أجل أن ترى عقدي النفسية كالحشرات المخبوءة داخل قطعة صوف مهملة في ماء ساخن.

هدأتُ من روعها وقلت في ود ورحابة صدر، فأنا معتاد على تلك النماذج:

- لا داعي للانفعال هكذا.. فأنا في النهاية صديقك وطبيبك الخاص.

اعتدلتْ في المقعد، وراحت ترمقني وأنا أدون ملاحظتي، قامت وشدت قامتها:

- أراك تكتب أشياء عني.. لقد جئت لأقول إنني أريد...

قاطعتها في حنان بالغ حتى استكانت:

- لا أعرف لماذا يهدأ غضبي عندما أنظر إليكِ..

شكرتها على المجاملة لكنها قالت في إصرار غريب:

- هذه ليست مجاملة.. أنا أريد أن أحدثك عن...

صمتت في حياء وغمغمت:

- ما كان لي أن أحضر إليك.. ما كان ينبغي هذا.

حاولت أن أحثها على الفضفضة والبوح قائلاً:

- ألسنا أصدقاء؟!

- بلى.

- إذن احك لي ما يقلقك.

- أريد أن تفهمني ولا تسيء الظن بي.

- حسنًا.. سأفعل.

قالت:

- كنت أرى نفسي والعالم مثل قطعة الزبد والسكين لا حيلة لي في شيء.. منذ الصغر وأنا أحلم بأشياء كثيرة حطمتها زوجة أبي السمينة، ونشرت أولادها الذكور حول أبي حتى ضاقت المساحة ولم يعد يراني.

نظرت في عيني وجفلت في استغراب:

- غريبة! تصور أنني كنت أحلم بأنني أتحدث إلى رجل مثلك ماسكًا سوطًا طويلاً يكاد أن يلف جسدي.

ربت على كتفها:

- وهل أنا أشبه ذلك الرجل فعلاً؟

- ليس بالضبط، ولكن رغم هذا فإنني أشعر بسعادة لأنني أتحدث إليك.

ثم فزعت فجأة وأخذت تروي في حدة:

- أتعرف أن "ابن سيرين" كان يتناول طعامه ذات ليلة حينما رأت زوجته ذلك الحلم؛ إنها رأت أن القمر يدخل في الثريا.. لكن ابن سيرين انهار فجأة ووضع يده على بطنه وقال في أسى: "سأموت بعد سبعة أيام والله أعلم".. وبالفعل مات ودفن في اليوم السابع!

أحسست بامتقاع في حديثها، وتمنيت لو رحلت، لكنها استطردت:

- تصور أنني أراك في أحلامي مشدودًا إلي في سلسلة نحاسية في آخرها كرة من الحديد الملتهب.. إذا ابتعدت عني تقترب هذه الكرة وتكاد تحرقني، لذلك أراني مشدودة إليك.

أمسكتُ بالقلم وحاولت أن أعبث ببعض الأوراق، لأفهمها إنني مشغول، ثم وارت وجهها بيديها واستطردت في خجل:

- غير معقول أن تنظر هكذا إلي.. لقد تحولت إلى الرجل الذي لا أحبه في أحلامي.

قاطعتها في حدة:

- لست أنا هذا الرجل، وأرجوكِ لا داعي لتفسير أحلامك بهذه الطريقة، فلا أحد يشبه سيدنا يوسف في تأويل الأحلام وأحاديثها، حالتك تلزمني أن أقول لكِ...

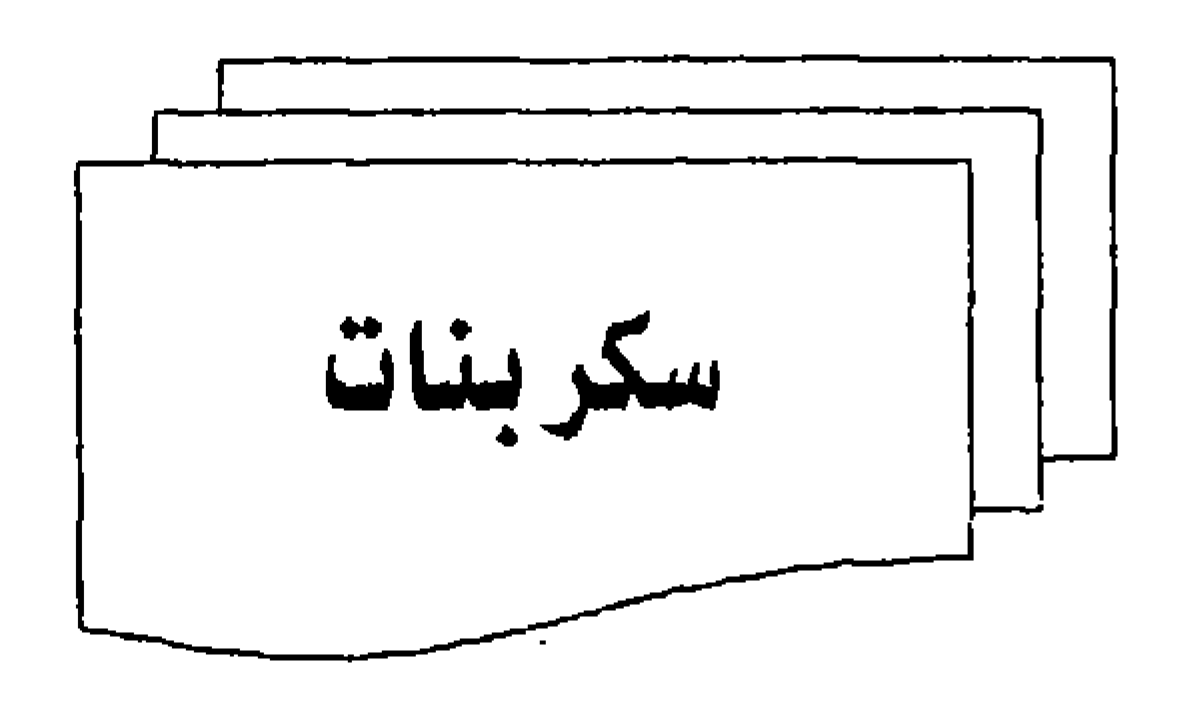
قاطعتني في غضب قائلة:

- لست حالة مرضية، لقد اعتبرتك صديقي، و...

انشغلتُ في تدوين بعض الأدوية المهدئة وناولتها إياها، تناولتها على استحياء..

- لا أحتاج لهذه الورقة.

تعمدتُ ألا أنظر إليها وألا أفهمها.. قبل أن تنصرف نظرت إليّ طويلاً، وأخرجت بعض الأوراق المالية على مكتبي، وانصرفت وهي شامخة كالطود.. وكأن شيئًا لم يحدث.



- دعها تفكر يا...

في زمن الجنيات المبعثرة، حيث تزهو الحكايات على تنوعها، فتافيت الجدة تتناثر فوق رؤوسنا، ننصت، نخاف الجنية وتعانقها للجني الملعون الذي يثب في الهواء، يتعلق بأذيالنا؛ يجرجرها، ويفر منا، وأحيانًا يسكن أجسادنا عندما لا نخشى الله.

- ليس هناك أقسى من نسف أفكارنا علنًا، واقتناصها لأجل غيرنا.

- من هم؟! يا فتاي الرابض فوق سفينة وهمية يعلوها شراع أبيض لا وجود له، قطرات من الدم

الأحمر تتناثر عليه.. بيني وبينك أشياء كثيرة لا تحكيها للجدة خوفًا من بطش الرجل الكبير.

تغمز لنا الجدة بقطع السكر النبات، تحتضنا أنا وأنت في دائرة المهانة.. يغسلون كفك بدمي ولا يرتدعون، ولا حتى يعووا.. دع الجدة تفصح عما غشينا من سبات ورقاد تحت رموشها الثقيلة بغبار الحكايات ونثار الدم المسكوب من زمن قابيل والغراب الأسود.

دمي القاني يتصلب في شرايينك.. يستعيدك فتاي ولا يتذكر دموعك، أما الرجل الكبير حين ودعته لبلد آخر بعيدًا بعيدا.

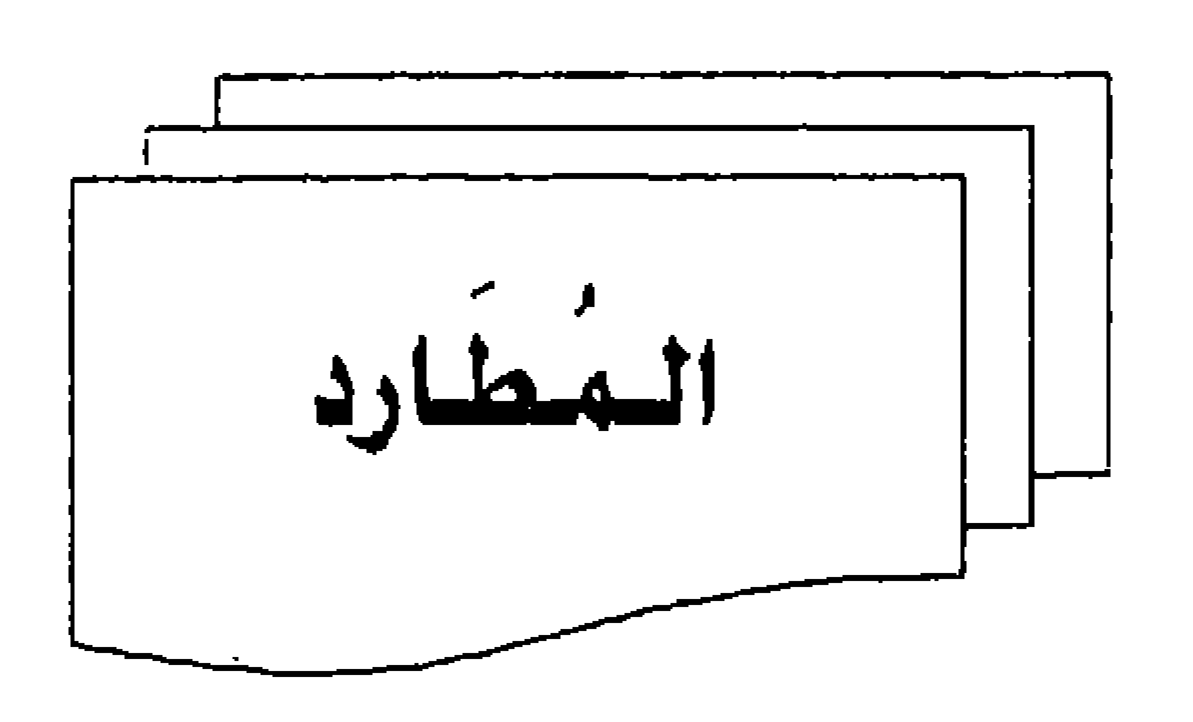
في براري حياتي أستعيد تفاصيلنا غير المعلنة، الجدة تعلم فقط أين أخبئك وأين أجعل دمي المسكون الثائر يبرد على كفيك دون سواك، الجدة تعلم ولا تريد الإفصاح فالرجل الكبير بيده سوط طويل.. هي

تعلم بمكانك، وهي الآن تبعثرني بحكاياتك مع الشقراوات في البلاد الباردة البعيدة.

تخطو أنت للأمام بمباركة الرجل الكبير، ويتطيرون عندما أمسك قلم وورقة بيضاء، سفينتك الوهمية قد تشققت ونخر السوس خشبها..

الجدة تحبك كما أنت ولا تريد أن تصدق أن قطع السكر النبات قد انتهت عن أخرها ولم يعد لها وجود..

لا تريد أن تصدق.. فهل تريد أن تصدق أنت؟!



ثلاث دقائق وتنتصف الساعة الثامنة ويخلو المكان منه ويعلن الزمن رحيله.

ما هذا؟ ما زالت أمه تفتقده وتبحث عنه بين وجوه الآخرين، وتلزمني أن أفعل مثلها، فهو زوجي الذي لم يدخل بي، كان يعيش بيننا كمسافر، يشعر بأن البوم ما زال يطارده.. يريد فقأ عينيه.. كلما غدا أو راح، فهو مسكون باللعنات التي لا يعرف مصدرها، أخبره أحد العرافين أن دابره مقطوع ولن يكون له ذكر في العالمين.. يشعر بطعنات في صدره وعقله ويده اليسرى التي وشمتها أمه عند بلوغه العاشرة،

فحينما أراد بلوغ الشجرة العتيقة التي تجاور داره نعتـه الجيران بالجنون ورموه بالمس ووصموه باللعنات.. لا أحد يجرؤ على الاقتراب من هذه الشجرة فلقد شنق حسان نفسه على هذه الشجرة. يشيعون أن روحه تسكن جذرها العقيم. وإلا ما بال ذبول أوراق تلك الشجرة.

عندما نما إلى أمه همسهم؛ صرخت كما لم تصرخ من قبل، ورغم هذا لم تخرج الصرخة كما ينبغي؛ صارت كنعيق البوم، ابتعد الناس.. تنافرت أقطابهم وتجاذبت عند نقطة النأي عنه.. صار مطاردًا.. شريدا..

راقبته وهو يحاول إخفاء وجهه عن الناس. فالكل يفر منه ويتطير كأنه كلب أسود.. حزم حقائبه وأعلن الرحيل، تعلقت أمه وتوسلت إليه وأشارت إلى بطني، لكنه لم يصدق، ولم أرد أن أرحل معه؛ فهو لا يحبني، وأنا كذلك.. قلتها دون مواربة:

- لا أحمل في بطني سوى المرارة.

صفعتني أمه وطردتني من الدار، وقف صامتًا وقال:

- كنت أتمنى أن تكوني بسمتي التي لم تلامس شفتي.

قلت بين اليأس والرجاء:

- ملعون أنت وأمك.

لم يعقب.

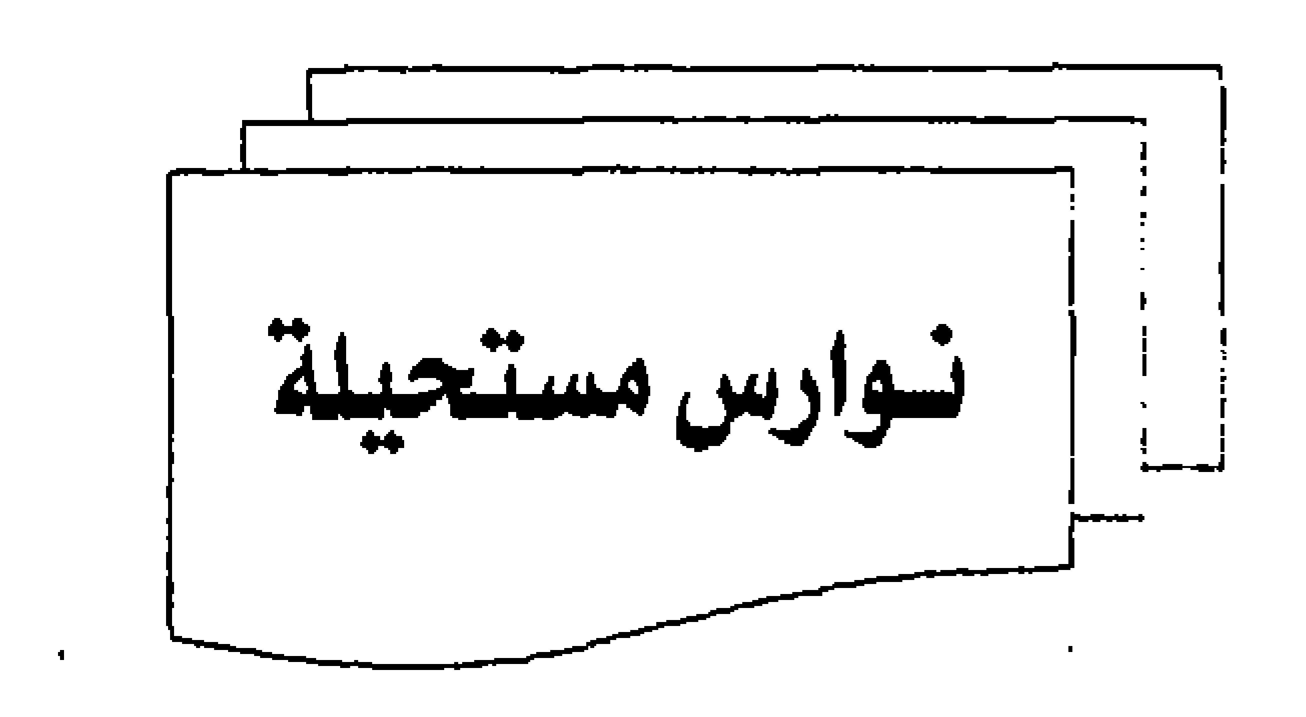
نظر إلى يده اليسرى، واستحلفته أمه ألا يزيل الوشم مهما حدث..

في الصباح رأيته بوجه آخر، عيناه منتفختان حمراوتان.. يعاني اضطرابًا في النطق.. يده اليسرى ترتعش، قال:

- هجرتني أمي عندما رأتني وأنا أزيل الوشم واسم الشيخ المبروك..

ثم أردف في حدة وإصرار:

- ما زالت هناك بقايا، أريدك أن تساعديني، فما زال معي بقية من ماء النار.



ملامح الصورة لم تكتمل، الأنف غير مثبتة بدقة، ضوء خافت يصدر من العينين الباهتتين باللون البني الغامق، يمسك بفرشاته القديمة.. يحاول أن يثبت شعيراتها الدقيقة على لوحته، اليد ترتعش.. الملامح غير مكتملة، سيصبح الوجه شائهًا إن لم تمتد يده بفرشاته كسابق عهده..

إنه يحاول أن ينقل اللوحات الأخرى التي طلبها التاجر لبيعها بعد أسبوع، لم يعد يملك لوحات من وهج خياله، يضغط على فرشاته بقوة.. بقعة سوداء على الوجه تتضح خيوطها تغطيه لا أثر للعينين.

لم يبق إلا أسبوع ويسلم اللوحة.. لوحات كثيرة سبقت هذه اللوحة ينقل لوحة لأحد المشاهير، لا شيء سوى ذلك.. القفص العجوز يعلو ويهبط، كبرياء يحاول أن ينفذ من العينين الباهتتين المتعبتين يطمسهما بقبعة رمادية، جنيهات قليلة يتحسسها، تحسر يطفو فوق الوجه المتغضن الذي تهبط طيات لحمه داخل صدغيه.

يصيح التاجر.. يستعدي فرشاته يقول:

- متى تنتهي من هذه اللوحة؟

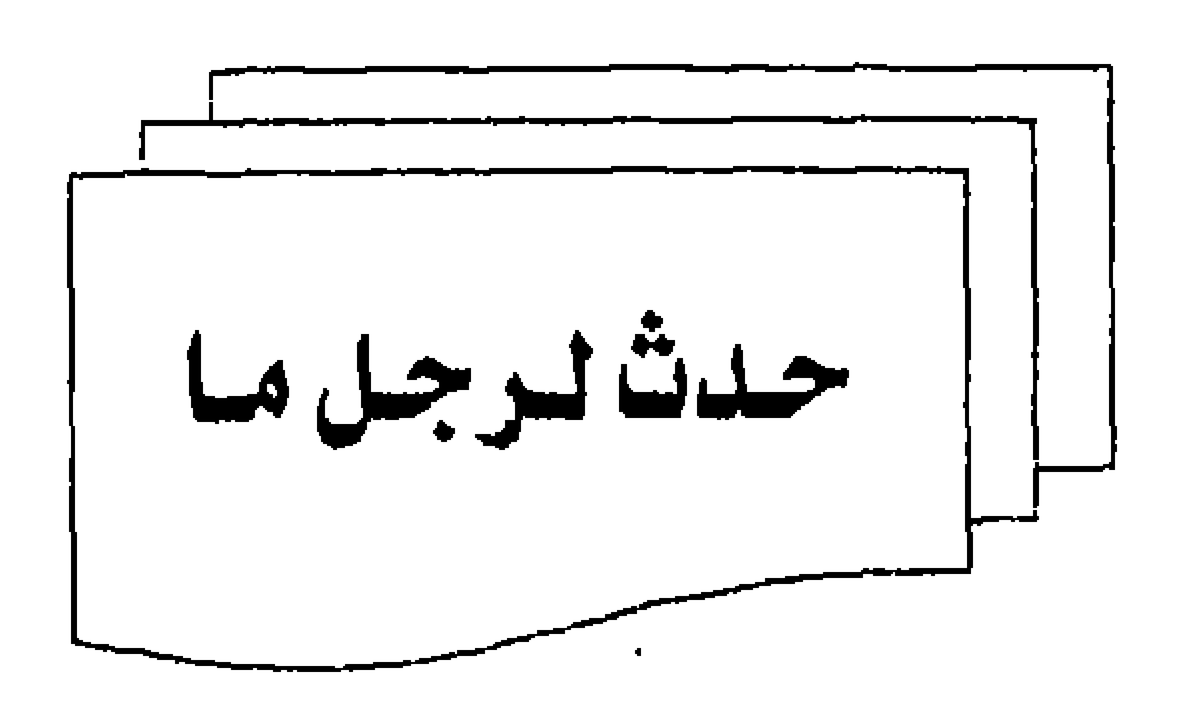
إجابته مخنوقة داخل صدره العجوز.. دم يتدفق بداخله.. تشتاق فرشاته لغمسها في دمه الذي لم يعرف كيف يكون لونه.

كلمات التاجر تدفعه إلى عمل شيء ما.. يريد أن يكسر كل لوحاته، يمزق نقوده الورقية..

كان ذلك منذ زمن بعيد، يجلس في مرسمه الخاص يمسك أدواته، تجري على لوحته البيضاء: يرسم لوحاته.. يزينها.. يهفو إليها، وفي ركن يصنعها، ما زال مشتاقًا إليها، يعاوده الحنين، فيعاود النظر إليها مرارًا، حتى ينتهي من رسمها تمامًا.

يشعل سيجارته يتصاعد دخانها المنفث.. يستمتع.. لقد انتهى من لوحته.. ما زال هناك بعض الخيال ومسحة من الإلهام.. يتولد لديه إحساس بطاقة لا مثيل لها.. يعدو إلى فرشاته.. يظل يرسم، حتى بزغ فجره أخيرًا.

ذات فجر.. سهر كثيرًا.. لم يعد يملك شيئًا سوى فرشاته فقط. ما زال التاجر يدق بابه بعنف.. كانت فرشاته تنغمس باستمتاع غريب في دمه الذي ينزف بتؤدة من معصمه.



حدث لرجل ما

في ركنٍ منزوٍ من الحجرة الضيقة.. ألصق ظهره بالجدار الناشع برطوبة لزجة تلتصق قطراتها بحافة يده المعروقة النحيلة.. العروق خضراء/ زرقاء لرجل تجاوز الأربعين بقليل.. اليد ما زالت تنشب في الجدار الجيري الباهت المتشقق.. يتساقط الجير، يشعر برائحته تزحف على أنفه ومسام جلده.. يتكوم على نفسه، السكون يحيط به.

على مسافة قليلة تقعى أسرته على سرير قديم قوائمه قد علاها الصدأ.. متسربلين ببطانية سوداء ذات ثقوب واسعة.. تتسع كلما اقتربنا من وسطها

النحيل الشعر.. رائحة زخمة تجتاح مواطن أسرته الصغيرة المكونة من طفلين أحدهما مصاب بشلل الأطفال، والآخر ما زال يمص ثدي أمه الممتد بإشفاق ناحية فمه الصغير.

ما زال يرنو بعيدًا.. الكل في شغل عنه.. يتساءل:

- هل الذكريات من دواعي الرفاهية؟

لا داعي لتلك الضوضاء التي تصدر منه.. لأنه ما زال يرنو بعيدًا، فالأشياء الجميلة لن تقترب منه، خيوط الحزن تلتف حول عضلة قلبه الضعيف، يحاول التملص منها، لكنها تتعلق به كشرنقة العنكبوت، لا يطيق رائحة عرقه النتنة، يعود من عمله في منتصف الليل يجد زوجته وطفليه متكومين وملتفين ببطانية مهترئة.. يربض بجسده النحيل عند حافة السرير.. يفرد البطانية الأخرى، يغلبه النعاس.

يتقلب في منطقته المحدودة بين قوائم السرير..رائحة الجير توقظه؛ ثقب في الجدار تبص

منه فئران بنية اللون يتقلص لونها إلى الرمادي عندما يشتد جوعها وسعارها تغطي جسدها حراشيف حادة؛ إنها فئران النهر والبالوعات المفتوحة والتي تجاور حجرته الضيقة أسفل العمارة.

كان يخشى ذلك الفأر المتسيد الشرس على طفله الرضيع، يخشى اندفاعه تحت السرير وفوقه.. يقفز من مكانه وبيده عصا غليظة يهوي بها على ذلك الفأر اللعين، وعندما ييئس منه يسد بجسده الهزيل ذلك الثقب، ينام طول الليل تنتابه هواجس شتى.

عندما كان الحب أغنية جميلة لم تشعر زوجته أن الحب سيولد بين الحيطان الواطئة الكالحة.. كان الحب أغنية شجية.. أحيانًا كان يركض على حصى ساخن يشتد لهيبه عندما لا يجد رغيف خبز جاف أو شربة ماء باردة لما كان ظهره ينوء بحمل الطوب والأسمنت، كانت زوجته تضطرب كثيرًا عندما ترى

نظرة الحب في عينيه، تخشى أن تمتلئ الحجرة الضيقة بأطفال عاجزين.

في ليالي الشتاء الأشكال تتضخم.. المدينة جدار عال يتسلقه القادر حتى يلفظ أنفاسه عند حافة اللامعقول، وسراب الأمنيات، تضخ هديرها عند الأجساد الباردة والبطون الخالية والعقول المستغيثة من تلك الأشياء الهلامية التي تتضخم حتى في رؤيا الأحلام.

يبحث عن نجمه الذي يظن أنه يحبه كثيرا؛ كان يرقد جوار القمر ناحية اليمين، يظنه نجمه الذي يخصه فمحياه يؤنسه في ليالي الشتاء القارصة الطويلة.. يذكر يوما أنه خاطب نجمه فوجده مشغولا عنه بالتسبيح لربه؛ يرى فيما يرى النائم أن خيوطا فضية مدت بينهما.. يعزف على أوتارها بانتشاء، يحاول دون جدوى أن يتخلص من رائحته النتنة ويقول في إصرار:

- يوما ما سوف ألقي القاذورات بوجوهكم ولن تستطيع أمطار الشتاء أن تغسلكم وتزيل درنكم.

النقود الورقية تشغل كل مكان.. بقعت الأجساد.. لا تعرف الأجساد ولا العقول كيف تتخلص من شرها عندما يشعر بالضعف وقلة حيلته وهوانه على الناس يمد أصابعه.. يغرسها في اللحم الحي ويستخرج إحدى كليتيه.

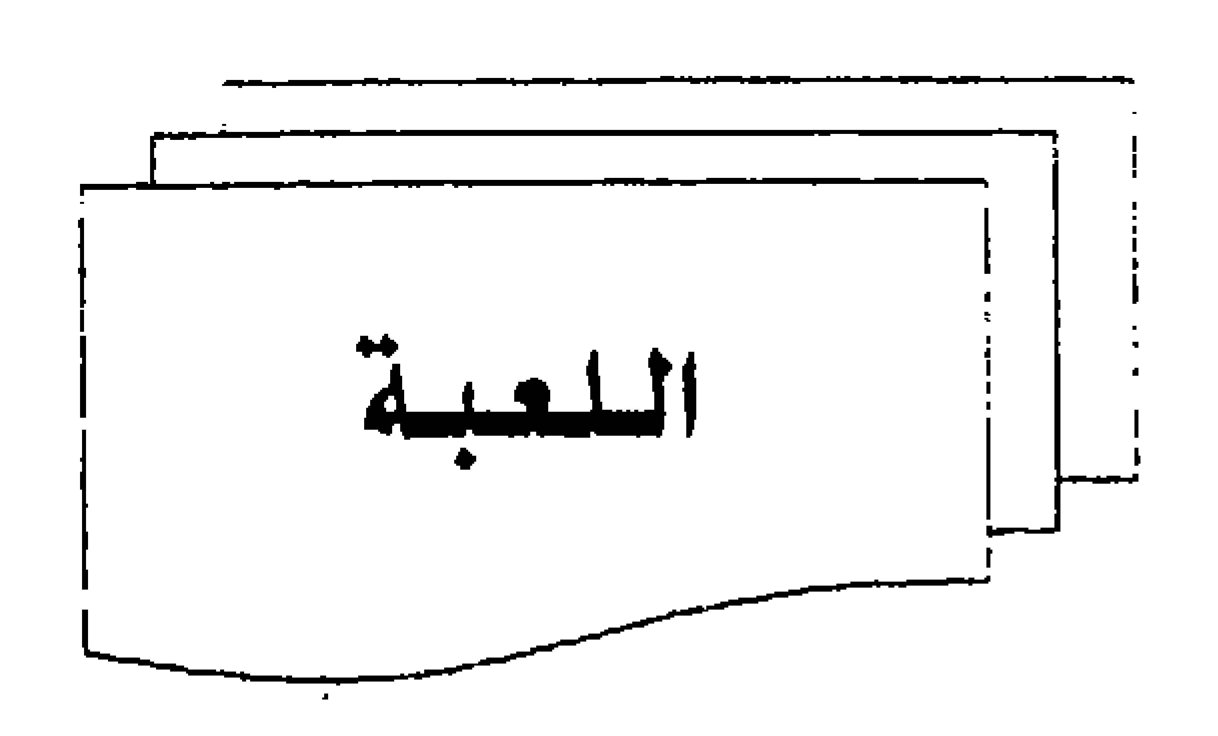
بدأت شفتاه تتحركان.. ريقه الجاف يضايقه.. لا يعرف كيف يبتلعه، يحس برغبة شديدة في البصاق.. لا يستطيع.. يحاول.. لكن فمه أطبق على بعضه.. فليتخلص من كل هذا.. يهرب من الأجهزة التي تحوطه وتكبل أعضاءه، يهرول بين أروقة المستشفى.. لقد بصق على وجوههم قطعة من لحمه.. كليته اليسرى!

التهمها عجوز ثري!

لم يخبر أحد بأمره.. في وقت ما تمنى أن يبتاع لزوجته علبة من اللبن المجفف حتى يستريح الجسد الهزيل.. يقول في استحياء وهو يسند ظهره إلى سرير المستشفى:

- أيها الجالسون في ظل الشمس.. مساحة الظل لن تتسع بعد ذلك لأمثالكم.. ورق التوت لن يكفي لتغطية الأجساد المبرقشة.. سوف أمزقكم بأظافري المتسخة بالفقر، وبعدها أقطف ثمار البرتقال.. أجلس وحدي مع أطفالي نأكلها في استمتاع.. سوف أقتل أسئلتي وأرتب الأماني أمنية أمنية.

يستغيث الرجل.. بينما الثري العجوز ينشب أظافره ويغرسها في لحمه، من في المستشفى يتفرجون عليه وهو يتقيح أمامهم!



.. والطريق ممتد، متعرج على طول امتداده، وأشياء كثيرة تسقط مني وأنا أتطلع من نافذة السيارة، قلمي.. رسم لم يكتمل، كتاب منزوع الغلاف، صورة فتاتي وهي تبتسم لي. والسائق يندفع بالسيارة دون أن ينتبه لوعورة الطريق، نداء متحشرج يخرج بصعوبة، أتطلع إلى الوجوه التي تبدو مطمئنة لكل ما يجري حولها، بجانبي صديقي اللدود، أحادثه عن أشيائي التي فقدتها وأنا أتطلع إلى النافذة المغلقة أحاول فتحها لكن الكل يهمهم ويعترض، يشمت

صديقي في ويقول: لا تشغل نفسك بشيء، فكل شيء على ما يرام.. نحن على سفر ولا نعرف متى نصل.

المسافة تبدو شاسعة البون، لكن روحي تتخطاها وأتوجس منهم ريبة، لا أحد يهتم بأشيائي التي فقدتها، ويسخرون مني..

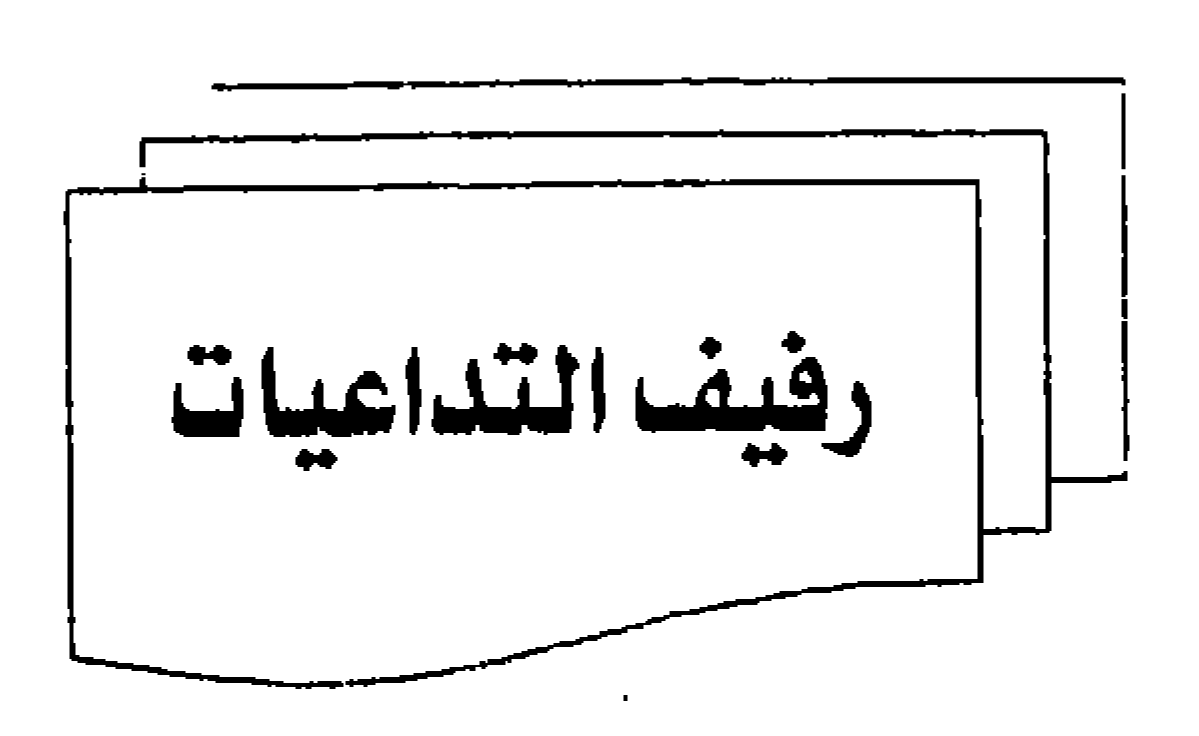
ألمح طيف ابتسامة على وجه السائق في المرآة.. ما زال الطريق ممتدًا، أتوسل إليهم أن يفتحوا النوافذ المغلقة، لا يفقهوا تأويلي ويسخرون مني. ضحكاتهم تعلو وأشعر بالاختناق.. يتشاجرون على الهواء الساكن فيما بينهم واتفقوا على إلقائي من النافذة، أتشبث بيد صديقي اللدود، ووجدته يدفعني بشدة، ووجدتني أتدحرج ككرة مطاطية، والغريب أني نهضت دون أن تخدشني الصخور الناتئة ولا حتى الحصوات المدببة كرؤوس الدبابيس، أسمعهم يتصاخبون ويتصايحون بعد أن اقترعوا علي.

الشمس حارقة. والعرق ينز من جبهتي مالحًا حارقا، الإسفلت يرسل هواءً ساخنًا، السيارات تمرق بجواري لا أحد يتوقف.

لمحت حبيبتي تضحك مع آخر في سيارة مارقة.. لم أهتم إلا بنفسي، وتذكرت أنها هجرتني منذ أيام. لم أفرح كثيرًا عندما توقفت السيارة، وهبط صديقي اللدود يريد أن يعاود اللعبة مرة أخرى، وجوه من معه استطالت في عبثية.

لم أعبأ بهم وعاودت سيري، جذبوني من ذراعي يريدون إدخالي السيارة عنوة، نجحوا في ذلك..

بعد دقائق معدودة، والسيارة مسرعة.. ألقوا بي مرة أخرى.



رفيف التداعيات

خـاطر الحكمـة يتجلـى عنـدما يحـاول أن يتصـرف بعقلانية مع متغيرات حاضره، يريد أن تأتي الدنيا له طواعيةً أو كرهًا..

رفيف التداعيات حوله، آماله المنهزمـة عنـد عامـة أهله وخاصة نفسه، بجوار الدكان كان يقف بشـعره الأكرت وأنفه المدبب.. يتدلى جلبابه الباهت.. يحك ظهره بحافة الجدار القديم، السـيارة الداكنـة تحـط عند قدميه المتربتين..

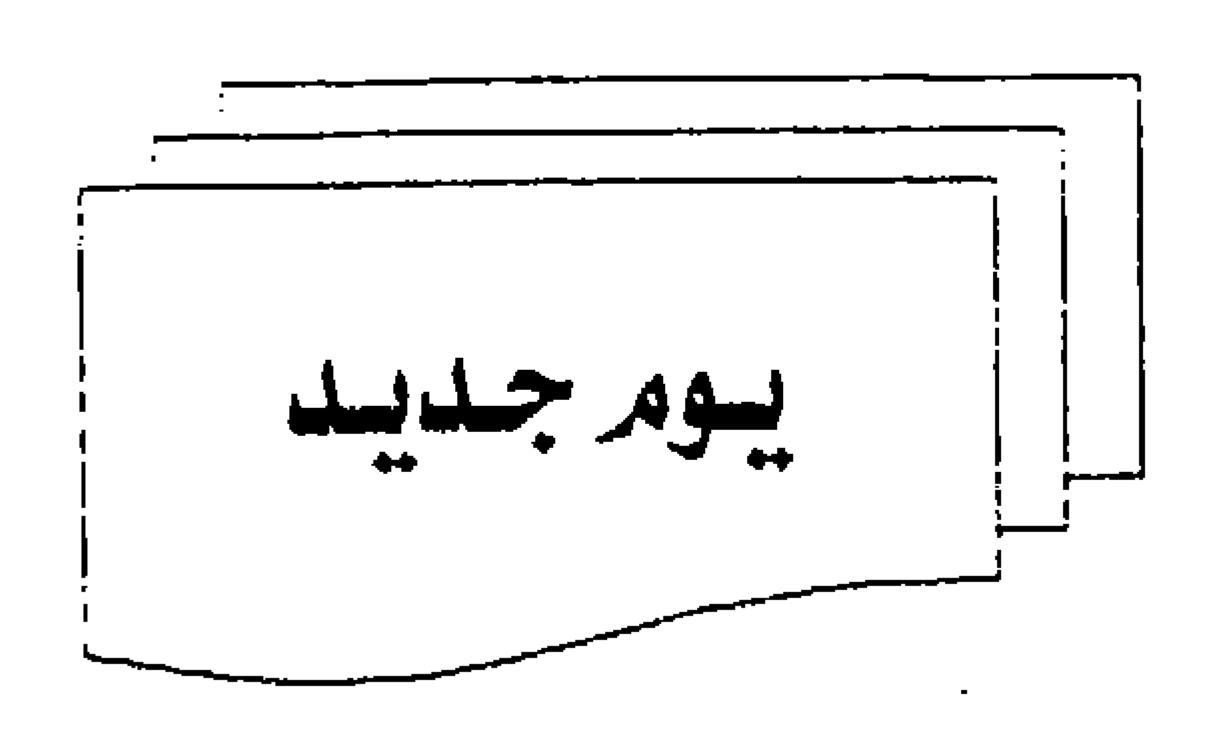
عبارات التهليل والترحيب صكت الأذان.. لم يعـد يسمع سوى نقيق الضفادع ونأمات قلبه، يهبط الرجل

من السيارة الداكنة ليتلقى آي الشكر والإعزاز.. يمسح بيده الناعمة النظيفة على الملابس المتسخة، سرعان ما يتلقفها منديل ناصع البياض معطر برذاذ عطري.

رائحة الشواء تنطلق من البيت القديم، قتار القدر يتصاعد ليخبو بين جنبات الجدران الكالحة والأنوف المتدلية من وجوه غليظة مشرئبة، ينحني الرجل وهو يدخل البيت القديم مطأطئ الرأس، يبتسم للعجوز التي رمقته بعينين خابيتين وأنف أفطس، تمد يدها بكوب شاي ثقيل يتناوله على استحياء.. ما زال الرجل يرتشف كوب الشاي، تابعه يهش على الصبية التي تتراقص الدهشة على سيماهم، يتحسسون السيارة.. تنعقد أيديهم الصغيرة على زجاجها القاتم، ما زال التابع يعاني اضطهادًا من الصبية وقد سالت دماء قانية من أنفه وشفته العليا.

يخـرج الرجـل دون أن ينتهـي مـن شـرب الشـاي، تصطدم عيناه بنظرات العجوز الحانقـة الـتي قامـت بدورها لتشارك الصبية حفلتهـم حول زجاج السيارة المتناثرة وتقول في عدوانية:

- لن يعطيك أحد صوته يا ابن الضالة.



يوم جديد

وضعت يدها على خدها ورفعت رأسها للسماء تتنهد، فالسنين تزحف عليها وتكاد تطويها في جب العنوسة.. لا تدري كم رجل مرّ بحياتها وطلبها للزواج (لا أحد) ، حبكت الطرحة على رأسها وهي تداري دموعها خوفًا من نظرات زوجة أبيها، وواصلت التنظيف اليومي المعتاد... بعد أن تعود منهكة تبدأ في إرضاء زوجة أبيها، وتقوم بكل أعمال البيت حتى لا تسمع صوت أبيها وهو يزعق عليها وفي عينيه سؤال، بل اتهام:

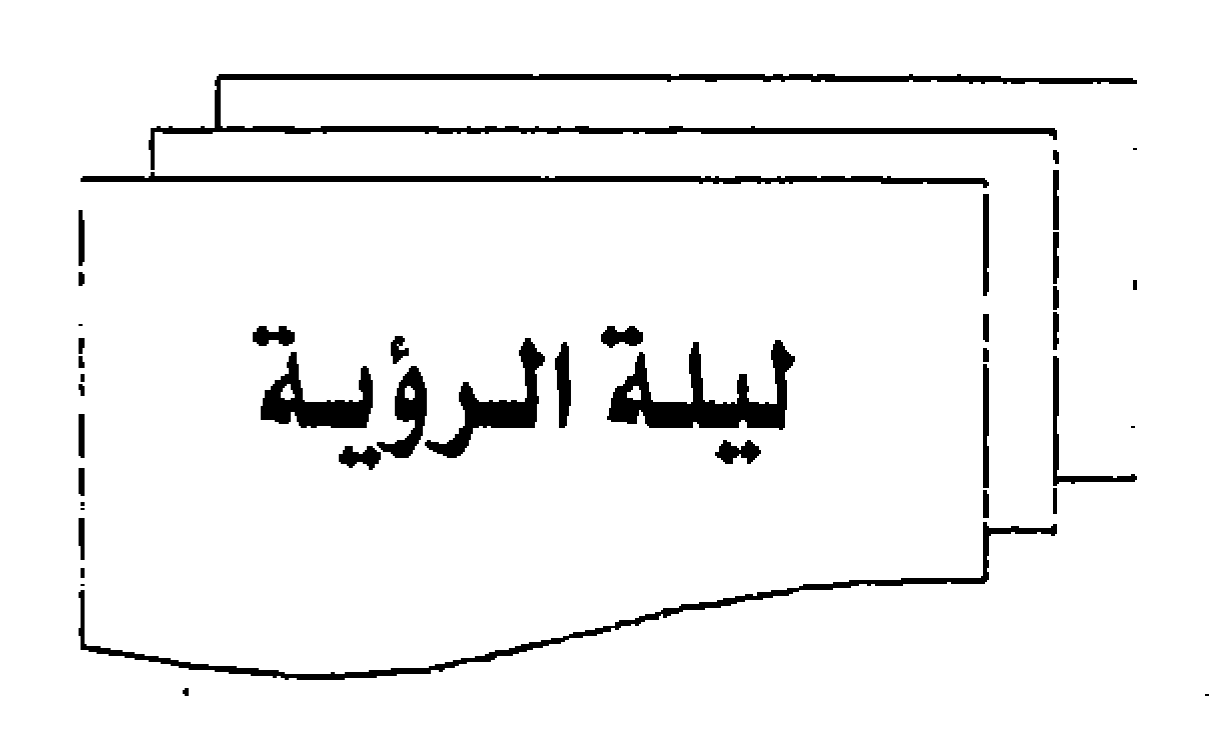
– لماذا لم تتزوج حتى الآن؟

كان السؤال يطل عليها كل ليلة ويحاول نزع إجابة منها، لكنها كانت تبوء بالفشل، فلا ذنب لها في شعرها الخشن الذي تداريه بطرحة ملونة، أو قصرها الشديد.. ترتبك عندما يمعن أحدهم في تدويرة وجهها الطفولي الخالي من أي تحريض على الإغراء.

حينما عثر عليها وجدها طفلة غير لاهية، وانتظرت سنوات أن يقول كلمته ويوشمها باسمه.. لكنه سافر ولم يعد.. ما زالت تغزل حكايا عن أطفالها الذين لم تلدهم، فهذا يتشاجر مع أخته الصغيرة، وذاك يجعلها تفقد أعصابها وينفلت لسانها عليه، وتلك لا تعرف غير اللعب، حتى ضج الجميع بحكاياها فكانوا ينصرفون عنها.

تصحو من جديد على يد زوجة أبيها تهزها بعنف.. تستيقظ.. تبحث لنفسها عن مكان وسط الأجساد

المحشورة.. تتطلع من نافذة الأتوبيس المكسورة، تخرج رأسها الصغيرة تنظر للسماء.. الكل يتدافع ويزاحم من أجل موضع لقدميه، تتشاغل بحلمها عمن سواه. يستغرقها الحلم بأنها تسبح في الهواء وقد جعلت ذراعيها جناحين، الكل يتطلع إليها وينعتها بالجنون، وقد أغمضت عيناها وسبحت في الهواء.



ليلة الرؤية

حين انتوت الرحيل؛ صفق الباب بوجهها، وانتزع قطعة لحمها.. طفلها، ودسه بين رجليه.. الصغير يولول، صرخاته تشق عتمة ليلها وسماء جهلها اللامحدود.. وحيدة لا يصاحبها سوى ظلها المحروم من ظل طفلها الذي لم يبلغ عامه الثالث، شوقها لرؤيته كتراب مشتعل في ليلة رمضاء.. تتطلع إلى القمر عند تمامه تتوسل لأبيها:

– أريد طفلي.

في لحظات مباغتة يتحول إلى ذلك الرجل الذي تكرهه وجعله زوجها في ليلة شتوية مزمجرة

بالعواصف والرعد يصك الأذان، والبرق يكاد أن يخطف الأبصار، وزغاريد النسوة مواويل حزينة فاقعة الحزن تلتف حول جسدها كسرابيل من نار.

قال أباها في حزم:

– لقد طلقتك وانتهى ما بينكم.

– وطفلي؟!

– لا شأن لك به فهو صبيه ويجب أن يكون في معيته، لا أريده رخوًا طريًا في حضنك.

لم يأبه لدموعها، وبعد اكتمال شهور العدة أصر على تزويجها مرة أخرى على طريقته، لقد شاخ ووهن عظمه واشتعل رأسه شيبًا ولن يقدر عليها وحدها.. يلزمها سيد جديد يكسر شوكتها ويقوم ضلعها، عليها الخضوع وله القوامة.. يحرث في حقلها كيفما يشاء ووقتما يشاء..

المدهش حقا أن سيدها الجديد ليس كأبيها. أو حتى رجلها الأول.. لما اقتربت منه لمست فيه وداعة لم تعهدها في رجل من قبل، وعللت ذلك أنه يكبرها بضع سنين وأنها أول امرأة يطأها في حياته.. كانت كلماته شعرًا منثورًا، حتى فاجأها ذات ليلة أنه يحبها وأن نساء العالمين قد خالطهم فيها، حتى إن أباها ندم كثيرًا لتزويجها إياه، وأن المعلم أبو شادوف زوجها الأول أكثر رجولة وقسوة.

ولأنها استنامت على راحة يده، التقطت حبات الرمان المبسوطة بكفه وصارحته بشوقها لطفلها، فالنوم هرب من جفنيها وصار بؤبؤاها يتراقصان في بحيرة من دموعها، ترتوي منها وسادتها كل ليلة.. جفف دموعها وطمأنها أنه سوف يساعدها لضم طفلها إلى حضنها.

تقضي الليل تحلم به تعانقه وتلاطفه.. وتلثم خده المكتنز وتقرصه في حرص، تصنع له الفطائر التي يحبها. تركض معه على العشب الأخضر المترامي إلى ما لا نهاية وطيور بيضاء لا شية فيها تحط على كتفه الصغير. يستبقان ويركضان كطفلين متمازحين. يدوسان العشب الأخضر المبتل بدموعها دون أن ينزلقا..

الطيور تختفي من الصورة مسرعة.. تستيقظ على يد سالم الحانية، لا تصدق أنه رجلها، طمأنها قائلا:

- اليوم سترينه يا صغيرتي.

قالت له:

- طفلي يجوس أحلامي، اليوم سوف أرتشف من عينيه زادًا، ومن قسماته صورة أودعها قلبي.

لاذت بسالم وأعلنت في خوف وتردد:

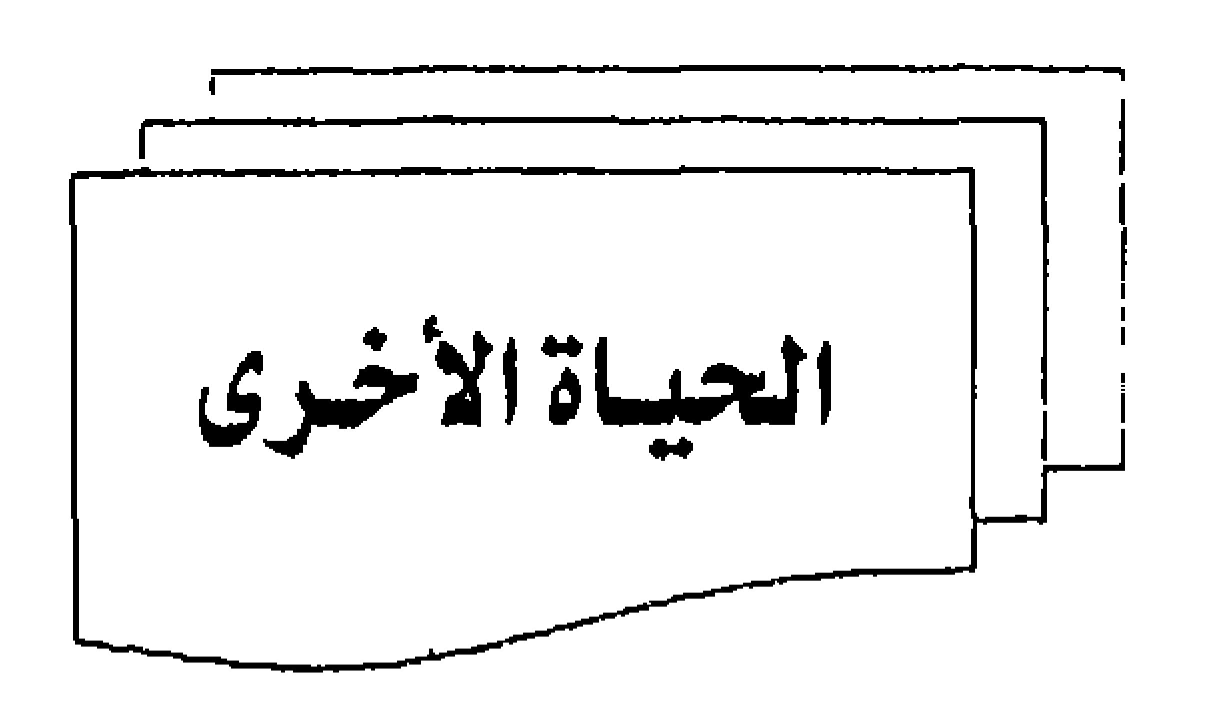
- اليوم لن يردعني صوت أبي، ولا سوط الآخر.

ارتـدت ملابسـها في حشـمة ووقـار، وآثـر سـالم أن يتركها بمفردها في الحديقة العامـة لتقابـل طفلـها، وودعهـا علـى عجـل، تشبثت بـه لكنـه لم يـرد أن يعذبوها بوجوده في حياتها فتحرم حق الرؤية.

ظلت في الحديقة العارية من الأشجار إلا من شـجرة كافور عتيقة خالية مـن الأغصان وألـوان البهجـة.. تمر السـاعات بطيئـة متثاقلـة، تطلعـت إلى السـماء المتشحة بالسحب الداكنة وظنت أنها سوف تمطر.. لم تتوقع ذلك لكنها استبشرت خيرًا. شعرت برجفة ورعشة خفيفة.. افتقدت سالم كثيرًا.. لا أحد سواها في الحديقـة، بعـد قليـل اكتشـفت أن ثمـة رجلـين ينظران نحوهـا، أحـدهما يشـعل سـيجارة، والآخـر يفرك يديه في نهم كأنه يستعد لفعل شـيء، نظـرت في ساعة معصمهـا.. لقد مـرت ثـلاث سـاعات كاملـة دون أن ترى طفلها أو حتى سالم، لقد ظن الآن أنهـا

تلاعب طفلها وتعدو معه على العشب كما حلمت أمس.

أحد الرجلين ينهض من مكانه وقد دهس بقية السيجارة بحذائه المتشقق الرخيص، يعدل وضع قميصه ويحشره في البنطلون وقد زوى شفتيه وبصق على شماله.. تبعه الرجل الآخر.. تحاول أن تتجاهل نظراتهما وتقدمهما نحوها، تتشاغل بالتطلع لصورة طفلها في السلسة الذهبية الملفوفة حول عنقها، حاولت النهوض والرحيل، لكن يد أحدهما كانت أسرع وجذبت السلسلة بعنف حتى شعرت بجرح رقبتها.. كل هذا لا يهم..
الذي جعلها تصرخ أن الطيور البيضاء قد غادرتها وغادرت المكان وحط مكانها غرابيب سود تنعق برأسها مناقيرها مغروسة في لحمها تنهشه قطعة قطعة.



الحياة الأخرى

(والله إنه لا يمنعني من اللعب إلا ذكر الموت)

علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه)

كانت يدها معقوفة على سكين صغير ذو نصل حاد تقطع به اللحم التي طلبته مني هذا الصباح قبل أن أذهب إلى عملي، كانت ملابسها زاهية نظيفة معطرة، خالية من روائح المطبخ المعتادة، وهذا ما لم أعتده منها؛ خاصة في الآونة الأخيرة..

وقفت قبالي وهي تتناول اللحم مني، تثبت نظراتها الناعسة الهادئة؛ على غير العادة؛ بقوة على رقبتي التي تحسستها برفق، طلبت منها الإسراع في إعداد

الطعام لارتباطي بموعد هام مع أصدقاء المقهى الحميمين، بالطبع كنت أكذب عليها في ثبات ورباطة جأش حتى لا تشم بغريزتها أنني على موعد مع الأخرى.

كانت نظراتها لا تريم عن عنقي.. اقتربت مني وشعرتُ بحرارة أنفاسها اللافحة وخمنت أنها تهبني قبلة أو ضمة متواضعة أو أي شيء يلهيني عن نوبة القلق حولها وحول سلوكها المريب نحوي، همست في أذني قائلة:

– لقد عرفت كل شيء.

ثم سرعان ما هربت وراوغتني ودخلت المطبخ، وقد أعارتني ابتسامة باهتة صفراء.

أربكتني ولا أعرف لماذا تذكرت فجأة "تي" الزوجة الثانية للملك رمسيس الثالث التي تآمرت على قتله مع ابنها "بنتاؤدر"، و"باب رع" المشرف على

الخزانة الملكية يعاونها الضابط النوبي "بنموسي" والذي انضم للمؤامرة بتأثير أخت له في الحريم الملكي وكذلك "بيبس" قائد الجيش.. كان ذلك من وسوسة الشيطان الذي زين لـ"تي" أن تقتل سيدها حتى لا يصبح ولده الأثير "رمسيس الرابع" ملكًا على مصر، ويحرم ابنها من اعتلاء العرش.

لكن أنا ليس لدي أنهار أو جواري، وليس لي سلطان على شعب مصر، اللهم سوى شاليه متواضع بالساحل الشمالي مكون من غرفة واحدة وصالة كانت قد ساعدتني في شرائه ببعض من ذهبها، ورفضت حينها أن أكتبه باسمها، حدث ذلك قبل أن تعرف أنها عاقر.. بعد سنوات قليلة أخذت تراودني عن نفسي كي أكتبه باسمها حتى لا يستولى عليه أخي وأولاده الواعين بعد أن أقضي نحبي.

ظهرت الأخرى كالوميض، كانت حياة أخرى غير التي اعتدتها مع "سمية"، كان حديثها رطبًا سلسًا

رائقًا، لا تحب تلوين الشفاه أو صبغ الوجوه أو تخضيب الكفوف، وتمقت الملابس العارية المفتوحة من أسفل أو أعلى، جعلتني أحب القصائد وينهزم قلبي أمام ترنيماتها الشجية...

أول لقاء لي بها كان في المؤسسة الحكومية التي أعمل بها.. كانت وما زالت طازجة ترهبها اللوائح والتعليمات ويزعجها القيل والقال، كانت لا تنتمي إلى عالمنا.. كانت تشبه الحياة الأخرى في عزوفها عن معطياتنا وقوانيننا المحدودة بتطلعاتنا وطموحنا قصير النظر، لم تكن سعيدة بكونها موظفة ساكنة غير مسموح لها بفك قيودها قبل الساعة الثانية بعد الظهر، ملت من التطلع إلى نفس الوجوه والسحنات، وشغلت نفسها بأوراقها وألوانها.. ترسم ويتلون الورق الأبيض بقصائدها القصيرة، تخصني بها، واعتبرته امتيازًا لأشياء أخرى أنتظر أن تفاجئني بها يومًا مًا.

قالت ذات يوم، وقد هالني وأفزعني حبها للموت:

- إني أفكر في الموت كل يوم عندما أضع رأسي للنوم، أحيانًا أتهيأ له، تجتاحني رائحته في المنامات، أخشى أن يأتيني دون أن أتهيأ له.

في لحظات هرب خاطر الشهوة وقوانين الجسد الدونية، وشرعتُ أفكر مثلها في مصيري بعد الموت.

كانت امرأة مختلفة، تعشق ركوب الخيل. عندما نكون معًا تتشاغل بالنظر للسماء وتتمنى لو هبطت عليها من السماء أرجوحة من الحرير والزبرجد تنقلها دون ألم إلى الحياة الأخرى، فلقد رأت جدها وهو يغرغر وقد بلغت الروح الحلقوم، كان يكابد وحده، لا أحد معه من أولاده الستة، كان ينظر في اللاشيء، كان بصره في ذلك اليوم حديد!

وضعت سمية أمامي طبق اللحم وبجواره أرغفة الخبز الساخنة وبعض المرق، سألتني عن أحوال العمل، فأجبت باقتضاب:

- لا جديد.

تنهدتْ. ووجدتها تخرج ذات السكين ذو النصل الحاد من بين طيات ملابسها تمزق به اللحم أمامي، فاستنكرتُ فعلتها، فقالت بين الجد والهزل؛ وهي مستمرة في تقطيع اللحم جزل صغيرة:

- لقد عرفت كل شيء، وحان الوقت للحساب.

ثم نهضتْ وخطتْ بنصل السكين على ذراعي. فسال الدم، ولم أشهق كما توقعت هي، والغريب أنها لم تجفل لرؤية الدم واستطردت:

- تعاقبني لأن بطني لا تحمل بذورك، وتريد أن تحيا حياة أخرى بدوني.

قلتُ في نفسي: لقد أصابها مسٌ من الشيطان، وعليَّ أن أعالج الأمر، وإلا...

لم تمهلني إكمال الجملة وباغتتني بوضع السكين على رقبتي، فقلتُ لها مازحًا:

- أترغبين في قتلي يا صغيرتي؟!

قالت في نعومة حاقدة:

- نعم.

قلتُ:

- أطباء التبت في كاتماندو يعتبرون أن جرح الجسم خطأ قد يرتقي إلى مستوى الخطيئة.

قالت: وهي تصك على أسنانها:

- أريد أن أساعدك أن تحيا الحياة الأخرى.

قلت:

- بدونك ستكون جحيمًا مقيمًا.

قالت:

- ومعها ستكون الجنة.

قلت، وقد أزحت السكين عن رقبتي وحككتها برفق وتأكدت من عدم وجود دم على ملابسي:

– لقد وشى بي أحدهم، و...

باغتتني:

– لقد رأيتك.

قلت:

– رأيتني ببصرك، ولم توغلي في بصيرتك!

قالت:

– دائمًا مقتصد في حبك.

– مضت عشر سنوات عجاف وأنا أتلهف الخلاص.

قالت:

– أتيت إليك بامرأة في الحلال كي ترزق الولد وتكون لك عشيرة.

قلت لها:

– إنها كالبهيمة لو وقعت عليها.

قالت:

– هذا قدري.

قلت:

– شروطك كانت قاسية لا أحتملها.

قالت:

-- كانت قروية ساذجة!

– وماذا أفعل بغفلتها عندما تشب النار في الدار.

كانت الطعنة قوية غائرة نافذة للقلب، تسبر أغواري المتدة والمتعلقة بجسر الحياة الأخرى، شعرت بتقطع أوردتي وشراييني، وشعرت بالنصل يحذ عضلة قلبي، قلت بين الألم والمراوغة:

– كل شيء باطل.

قالت:

– ما زال أمامي الكثير، وطقوسي الليلة ستكون بك ولك.

ارتميتُ بين قوائم المائدة وشعرت بفوران الدم على ظهري.. ركلتني بهدوء وتزينت وأتت زخرفها وبعثرت بعض ذهبها حولي، ولعلة ما لا أفهمها

كسرت مزلاج الباب بعنف وبعثرت محتويات المكان في فوضى غير منظمة، ولم تنسى أن تغمد السكين في راحة يدها.. بإشفاق أغمضتُ عيني وطلبت منها أن تكف عن تعذيب نفسها لأجلي.

سقطتُ في متاهات اللاوعي، وحاولتُ إغلاق عيني، فلم أستطع، كانت رأسي ثقيلة وحركتي ضعيفة، حاولتُ النهوض فارتطمت رأسي بالحائط وسقطت بجواري لوحة الجيوكاندا، حاولتُ أن أقيمها وأسندها على الحائط لأرى نظراتها.. فهي تبتسم لي كلما نظرت إليها من أي اتجاه (هكذا كنت أتوهم) كان أصدقاء المقهى يشاركونني هذا الوهم المريح.

طلبت منها كوبًا من الماء البارد، فقالت لي:

- أنا في عجلة من أمري، انتظر أشخاصًا مهمين.

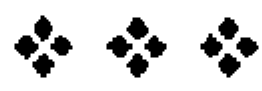
قلت لها بين الألم والتوجع:

- في هذا الوقت؟!

قالت في سخرية:

- لا يأتون إلا في هذا الوقت.

مددت يدي وحاولتُ أن أخلع ملابسي المبتلة بالدماء، شعرتُ أن طوابير من النمل تزحف إلى جلدي وتتسرب تحته، وألم قاس ينشب أظلافه في كل مكان بجسدي، روحي تنسل مني وتمزقني كشد السفود من الصوف المبلول.



أميمة عز الدين

omy_ezz@yahoo.com

شمس للنشر والإعلام



رؤية جديدة في عالم النشر

في سعي جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية ، ومابين تحقيق رسالتها الثقافية. وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات، تتمثل في:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتّاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافاً.

- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها.
- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها.
- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجماهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.
- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004/5 - (+2) 0188890064/5

فهرس


شمس
للنشر والتوزيع
(+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤
www.shams-group.net

وجدتُ أشباحَ النسوة تتداعى على الحوائط والعوارض
الخشبية المحاطة بالثريات المدلاة بعناية من السقف..
تقترب مني. أمسك بكتفي وقبض على شعرِ رأسي.. هم
بدفعي إلى الأشباح التي تدنو شيئًا فشيئًا.. صرختُ
وظللتُ أصرخ، إلا أنه لوى ذراعي وراء ظهري وهوى
بيده الأخرى على فمي ودفعني إليهن، بتحد جرؤت
على عضه بشدة حتى صرخ، وهربت منه
طويلاً، دون أن أدري أن هناك دمًا ينز
وبقايا لحم مغروس بأسناني، وصدى عوا

